الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلّيّة الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربيّ

صورة المتمرّد ودلالاتها في رواية الدّيوان الإسبرطيّ لعبد الوهّاب عيساويّ

مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللّغة العربيّة والأدب العربيّ
تخصّص: أدب حديث ومعاصر

إعــداد الطّـلـبة:
- سعديّة بادة
- سيرين هالم
- هادية صوالح محمّد

إشراف الدّكتور:
- عليّ دغمان

اللّجنة المناقشة

الأستاذ	الصّفة	الجامعة
البروفيسور مسعود وقّاد	رئيسا	جامعة حمّه لخضر الوادي
الدّكتور عليّ دغمان	مشرفا ومقرّرا	جامعة حمّه لخضر الوادي
الدّكتور محمّد الصّدّيق معّوش	مناقشا	جامعة حمّه لخضر الوادي

الموسم الدّراسيّ: 1442/1443هـ-2021م/2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلّيّة الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربيّ

صورة المتمرّد ودلالاتها في رواية الدّيوان الإسبرطيّ لعبد الوهّاب عيساويّ

مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللّغة العربيّة والأدب العربيّ
تخصّص: أدب حديث ومعاصر

إعــداد الطّـلـبة:
- سعديّة بادة
- سيرين هالم
- هادية صوالح محمّد

إشراف الدّكتور:
- عليّ دغمان

اللّجنة المناقشة

الأستاذ	الصّفة	الجامعة
البروفيسور مسعود وقّاد	رئيسا	جامعة حمّه لخضر الوادي
الدّكتور عليّ دغمان	مشرفا ومقرّرا	جامعة حمّه لخضر الوادي
الدّكتور محمّد الصّدّيق معّوش	مناقشا	جامعة حمّه لخضر الوادي

الموسم الدّراسيّ: 1442/1443هـ-2021م/2022م

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

الحمد لله الّذي بنعمته تتّم الصّالحات ...

نتقدّم بالشّكر والثّناء لمن له الفضل الأوّل والأخير، فنشكر الله تعالى على فضله وجوده ومنّه وكرمه، أن وفّقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، حمدا وشكرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصّلاة والسّلام على سيّد المعلمين سيّد الخلق أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

ولانّ من لا يشكُر النّاس لا يشكُر الله، فيسعدنا أن نتقدّم بالشّكر الجزيل والثناء الكبير لكلّ من قدّم لنا العون والمشورة والنّصح و التّوجيه لإنجاز هذا العمل وعلى رأسهم الأستاذ المشرف : دغمان علي، الّذي كان دعمه وتوجيهه لنا خير سند في هذا الجهد فله منّا وافر الشّكر ووافر التّقدير والاحترام.

كما يسرّنا أن نتقدّم بالشّكر والتقدير لصاحب الرواية الأستاذ عبد الوهاب عيساوي على نصائحه وتوجيهاته، وتزويده لنا بالمصادر الّتي تخدمنا في هذا العمل ... بارك الله فيه ورزقه كلّ خير.

والشّكر موصول إلى كلّ من قدّم لنا يد المساعدة والدّعم في هذا العمل من قريب أو من بعيد حتّى ولو بكلمة تشجيع طيّبة .

إهداء

الحمد لله الذي بعونه اهتدينا وتعلّمنا، و به وقفنا، وإليك يا الله أرفع يديّ لأحمدك وأشكرك على توفيقك إيّانا، وأصلّي على البشير النّذير والسّراج المنير سيّدنا محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

إلى من يخفق قلبه فزعا كلّما غاب طيفي عن عينيها...، إلى ينبوع الحنان، رمز العطاء والأمان، أغنية الدّهر، عطر الياسمين، إلى من نظرتها تنير المكان، إلى من تحت قدميها الجنان، والدتي العزيزة –أطال الله في عمرها–

إلى من تقف كلمات الحبّ خاشعة وكلمات الشّكر عاجزة أمامه، إلى الذي لو أهديت له الدّنيا بما رحبت ما أوفيت حقّه، إلى الذي تعلّمت على يده الصّبر والكفاح، وأخذت منه القوّة والسّماح، إلى مثلي الأعلى والدي الغالي "بلقاسم" –جزاه الله الجنّة–

إلى رفيقتي هذا العمل المتواضع؛ زميلتيّ سيرين هالم وهادية صوالح محمّد

سعديّة

إهداء

إلى من رأوني بذرة علم تنمو، ها هي ذي قد بلغت البذرة شوطا لتصبح ساقا شامخا مورقا ...

إلى من كانوا بعد الوالدين، والدين ...

إلى من تقاسمتا معي الشّقاء والجدّ واليأس والأمل، إلى زميلة البحث سعديّة بادة، وخالتي الصغيرة هناء.

إلى من كان وداده صافيّا وإخاؤه سرمديّا ...

إلى شرفاء هذه الأمّة ورجالها الحامين ...

إلى من غرس لنأكل ...

سيرين

إهداء

إلى روح أبي الغالي الرّاحل

الذي علّمني كيف أنطق الحرف وأخطّ الكلم

وأقدم على صعاب الحياة بلا ندم

أنحني أمامك عرفانا بالجميل

هـــــاديـــة

مـــقـدّمـة

مـــقـــدّمـــة

مقدّمة

تعدّ الرّواية نوعا أدبيّا سرديّا استطاع أن يجد له مكانا مرموقا بين عديد الأجناس الأدبيّة الأخرى خلال فترة وجيزة من الزّمن, مكنّها من الحصول على لقب ملحمة العصر الحديث بجدارة, كونها تتماشى مع الطّبيعة البشريّة لمرونتها وسهولة انقياد النّصّ فيها للتّعبير عن الواقع أو إبراز موقف بدقّة متناهية تجاه قضيّة معيّنة.

وسنقف في هذه الدّراسة عند واحد من النّصوص الرّوائيّة المعاصرة، والتي أحدثت ضجّة كبيرة على مستوى الكتابة الرّوائيّة وهو "الدّيوان الإسبرطيّ" للرّوائيّ الجزائريّ "عبد الوهّاب عيساويّ"، الذي أضاف فصلا هامّا من فصول الرّواية العربيّة الجزائريّة بتقديمها لتوليفة من اللّوحات التّاريخيّة والمشاهد الحيّة في صورة تخييليّة عميقة الارتباط بالتّاريخ، دون أن تخون التّاريخ وحوادثه وشخصياتّه في أيّ شيء, ودون أن يخون التّخييل السّرديّ في تقديم رؤية متعدّدة الأبعاد لفترة تاريخيّة متداخلة الأحداث، ورغم الفوارق الانتمائيّة والطّبقيّة والثّقافيّة والحضاريّة لشخصيات الرّواية إلاّ أنّ رؤية الكاتب هي التي ساوت بين وعي الشّخصيّات, واستطاعت أن تترك الانطباع لدى القارئ، وأنّ ثمّة نقطة يتوافق عليها الجميع في هذه الرّواية.

وهذا ما دفعنا إلى طرح التّساؤلات التّالية بغية توضيح اللّبس الحاصل في الأذهان والوقوف على مواطن التّقاطع الحاصلة بين أطراف الرّواية الرّئيسة:

– هل كان لتعدّد وتنوّع السّرّاد ضرورة ملحّة تستدعي ذلك التّواجد في النّصّ الذي بين أيدينا ؟

– هل تتشارك حقّا تلك الشّخصيات السّاردة في صفة التّمرّد التي ألقت بظلالها على الدّيوان الإسبرطيّ ؟

– ماهي صورة التّمرّد التي تظهر في كلّ شخصيّة منها؟ وما هي دلالاتها الظّاهرة في النّصّ الرّوائيّ؟

وانطلاقا من هذه التّساؤلات جاء بحثنا موسوما بـ: "صورة المتمرّد ودلالاتها في رواية الدّيوان الإسبرطيّ".

وقد وقع اختيارنا عليه لاعتبارات عدّة منها:

– المساهمة بالبحث في عمل أدبيّ معاصر, ولم نجد خيارا أفضل من رواية "الدّيوان الإسبرطيّ" التي كانت وما تزال مثيرة للجدل.

– إعجابنا بهذه الرّواية محاولة منّا للكشف عن جوانب جديدة فيها, لم يتطرّق إليها الدّارسون من قبل, وهذا ما جعل من الموضوع قديما من ناحية جديدا من ناحية أخرى؛ قديما كون رواية "الدّيوان الإسبرطيّ" موضوع البحث قد طالها البحث في جوانب عدّة فيما يخصّ البنية والتّقنيّة, وجديدا كون هذه الدّراسة تبحث في منظور الشّخصيّة الرّوائيّة.

وبعد عمليّة البحث والتّنقيب في هذا الموضوع، استقرّ بحثنا على خطّة قوامها

مدخل وفصلان؛ أمّا المدخل فكان نظريًّا، وقسّمناه إلى مبحثين، هما المبحث الأوّل: مفهوم الرّواية المعاصرة تنطوي تحته ثلاثة مطالب على التّوالي: الرّواية التّاريخيّة، نماذج من روايات تاريخيّة، نظرة عن الرّواية الجزائريّة المعاصرة، وأمّا المبحث الثّاني: مفهوم الشّخصيّة الرّوائيّة، تندرج تحته أربعة مطالب، وهي على التّوالي: تعريف الشّخصيّة، أنواع الشّخصيّة، أهمّيّة الشّخصيّة ودورها في العمل الرّوائيّ، مفهوم الشّخصيّة المتمرّدة.

وأمّا الفصلان التّطبيقيّان؛ فكان الأوّل بعنوان: صورة التّمرّد في شخصيّتي ديبون وابن ميار؛ وكان الثّاني بعنوان: صورة التّمرّد في شخصيّتي كافيار وحمّه السّلاّويّ.

وتوصّلنا إلى خاتمة تضمنّت أهمّ النّتائج المحصّل إليها وهي خلاصة البحث.

وقد سارت هذه الخطّة وفق المنهج السّيميائيّ, مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى كالمنهج الوصفيّ، والمنهج التّحليليّ، كلّما اقتضت الضّرورة ذلك.

ونحن بصدد إنجاز هذا البحث واجهتنا بعض الصّعوبات نذكر منها:

– صعوبة التّوفيق بين العمل من جهة والبحث والدّراسة من جهة أخرى, نظرا لطبيعة العمل الشّاقّة.

– قلّة المصادر والمراجع التي تتطرّق للنّصّ الرّوائيّ قيد البحث؛ حيث انحصرت في مجملها في شكل مقالات منشورة في مجلاّت محكمة لنقّاد معروفين.

لكن إيماننا سلفا بأنّ هذه هي طبيعة طريق البحث والتّقصّي دفع بنا إلى تجاهل تللك الصّعوبات، والتي حاولنا تذليلها بالاستئناس بجملة من المصادر والمراجع؛ نذكر منها: "القرآن الكريم" و"الرّواية" كمصدرين أساسيّين، بعض المعاجم كـ "لسان العرب" لابن منظور، ...، أمّا المراجع فنذكر منها: "بنية النّصّ السّرديّ" لحميد لحميدانيّ، "في نظريّة الرّواية" لعبد المالك مرتاض "قضايا "الرّواية العربيّة الجديدة" لسعيد يقطين، ...، بالإضافة إلى بعض المراجع التّاريخيّة أهمّها كتاب "محاضرات في تاريخ الجزائر" لأبي القاسم سعد الله ... والتي ساهمت مجتمعة في إثراء هذا البحث بالمادّة العلميّة المناسبة.

وأخيرا نتقدّم بالشّكر إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد، خاصّة الأستاذ المشرف "عليّ دغمان" الذي يعود له الفضل في اختيار هذا الموضوع، وأملنا أن نكون قد وفّقنا في عملنا، فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وحسبنا في هذا أنّنا اجتهدنا، آملين أن يكون بحثنا هذا فاتحة خير لدراسات أخرى في قادم الأيام, وعلى الله المتّكل وبه التّوفيق والسّداد.

مــدخل مفاهيميّ

1- مفهوم الرّواية المعاصرة

2- مفهوم الشّخصيّة الرّوائيّة

1-المبحث الأوّل: مفهوم الـرّواية المعاصرة

تُعدّ الـرّواية «**فنّا حديثا نسبيّا، لم يمض على استوائه على سوقه ناضجا أكثر من ثلاثة قرون في العالم الغربيّ، ولا أكثر من قرن ونصف قرن في عالمنا العربيّ**»[1]، وقد تعدّدت نظرة الباحثين إلى الرّواية، حيث يرى "عبد الله إبراهيم" أنّ الرّواية «**نوع أدبيّ انتزع الاهتمام ونجح خلال مدة وجيزة في الاستئثار بالمكانة الأولى في الآداب العالميّة وفي الأدب العربيّ، وذلك لا يعود في رأينا إلى القدرة الهائلة في تطوّر وسائل السّرد فيها فحسب، بل إلى القدرات الفائقة في تمثيل المرجعيّات الثّقافيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة, وهو أمر فاق الأنواع الأدبيّة الأخرى المعاصرة لها**»[2]. إذًا فالرّواية فنّ أدبيّ نثريّ لم يُعرف قديما كبعض الفنون الأدبيّة الأخرى، فهو حديث النشأة، ورغم ذلك إلاّ أنّه أثبت حضوره بقوة في الساحة الأدبيّة أمام الأجناس الأدبيّة الأخرى.

والرّواية من الجانب البنائيّ تُعرّف على أنّها «**ممارسة رمزيّة لغويّة، تتداخل فيها مستويات خطابيّة مختلفة، تاريخيّة اجتماعيّة حضاريّة ذهنيّة**»[3].

أمّا "باختين" فيراها: «**ظاهرة متعدّدة في أساليبها متنوّعة في أنماطها الكلاميّة، متباينة في أصواتها، يقع الباحث فيها على عدّة وحدات أسلوبيّة غير متجانسة، توجد أحيانا في مستويات لغويّة مختلفة وتخضع لقوانين أسلوبيّة مختلفة**»[4].

أمّا معجم "لاروس" فيقول أنّ الرّواية: «**مؤَلّف يقوم على الخيال، ويتشكّل من محكيّ مكتوب نثرا ذي طول معيّن تكمن أهمّيته في سرد المغامرات وعرض الأخلاق أو الطبائع وتحليل العواطف والأهواء**»[5]، بينما معجم "روبير" فيراها: «**مُؤلّف يقوم على الخيال، مكتوب نثرا**

1- عادل فريجات، مرايا الرواية، دراسات تطبيقية في الفّن الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000م، (د.ط)، ص09.
2- عبد الله إبراهيم, السردية العربية الحديثة, المركز الثقافي العربي, بيروت-لبنان, ط1، 2003م، ص297.
3- حسين خمري، فضاء المتخيّل، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، ط01، 2002م، ص191.
4- ميخائيل باختين، الكلمة في الرّواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق-سوريا، (د.ط)، 1988م، ص09.
5- بيير شارتيه، مدخل إلى نظريّات الرّواية، تر: عبد الكبير شرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، (د.ط)، (د.ت)، ص10.

طويل نسبيّا، يعرض ويجسّد في وسط معيّن شخصيّات يقدّمها باعتبارها واقعيّة، ويعرفها بنفسيّتها ومصيرها ومغامراتها»[1].

من خلال ما قدّمناه من مفاهيم يمكننا أن نتبيّن الخصائص الّتي تقوم عليها الرّواية بصفة عامّة؛ فهي تقوم على مستويات لغويّة وغير لغويّة مختلفة، كما أنّ لها أساليب وأنماط خطابيّة مختلفة. أمّا المفهوم الّذي يمكن أن نستخلصه من كلّ ما سبق أنّ الرّواية فن أدبيّ نثريّ من الفنون حديثة النّشأة، من إنتاج قارئ مثّقف، تعتمد على الطّول بفعل الوصف والفعل السّرديّ الدّقيق للأحداث داخل الخطاب الرّوائي الممزوج بين التخيّل والواقع، والشّخصيّات الّتي تتداخل في وظيفتها بعلاقة متماسكة ومعقدّة.

إنّ تعدّد المفاهيم حول الرّواية يؤول إلى عدم ضبط مفهوم محدّد ومتّفق عليه لحدّ الآن، ليظلّ المفهوم النّهائيّ للرّواية غير واضح (ضبابيّ ومشوّش)، ذلك أنّ للرّواية ألف زاوية تُرى منها، وألف شكل تتشكّل به أمامنا نحن القرّاء، فكان لكلّ منّا نظرة ورؤية تحليليّة ذات أبعاد تختلف عن القارئ الآخر، وهو ما يميّز الرّواية عن بقيّة الأعمال الأدبيّة الأخرى، وهو ما أكّده "بيير شارتيه" حين قال: «**الرّواية لا تعرف قواعد ثابتة وقاطعة وأصولها غائمة ومثار جدل، وموضوعها قد تطوّر مع الزّمن ولا حدود لتغيّر طريقتها ونبرتها**»[2]. ومن هذه الرّوايات نذكر: رواية "سحابة الأطلس" (Cloud Atlas) للكاتب "ديفيد ميتشل" ورواية "مدينة مفتوحة" (Open City) للكاتب "تيجو كول".

بعدما حلّت روائيّة الحداثة حلّت حقبة ما بعد الحداثة لتأتي بعدها الحركة الأدبيّة الطّاغية اليوم ألا وهي الرّوائيّة المعاصرة، وحينما سُئل البروفيسور "روبرت إيغلوستون" عن

1- المرجع السابق، ص10.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الاتّجاهات الكبرى المحدّدة للكتابة الرّوائيّة المعاصرة أجاب بوجود ثلاثة اتّجاهات تتمثّل في[1]:

– «أوّلا: استخدام الكُتّاب المعاصرين لبعض الحيل والملاعبات فيما بعد الحداثة.

– ثانيّا: عودة لتوظيف بعض تقنيّات الحداثة بطريقة ذاتيّة وواعية تماما.

– ثالثا: الميل الطّاغي نحو كتابات روائيّة باتت أكثر واقعيّة بكثير جدّا من الرّوايات الحداثيّة وما بعد الحداثيّة، استجابة لمتطلّبات الواقع أو ما يصطلح عليه بـ (الجوع إلى الواقعيّة)».

إذًا مقارنة بالرّاوية المعاصرة وما كتبه الرّوائيّون قبلها، يمكننا تقديم إجابة موجزة عن التساؤل الّذي يقول: ما المعاصر في الرّواية المعاصرة ؟

لنقول أنّ الرّواية المعاصرة يغلب عليها الطّابع الوقائعيّ، والغموض المثير من خلال الحيل والتّلاعب بالزّمن أو ما يسمّى بالتّرتيب الكورنولوجيّ، أضف إلى ذلك امتلاك الشّخصيّات للحسّ الواعي، أمّا نهايات الرّواية عادة ما تكون مفتوحة، يُترك فيها ذهن القارئ يبحث في حيرة.

كما أنّ كلمة معاصرة توحي بمعاصرة ومواكبة الرّواية للحاضر، الّذي تطغى عليه سمة التّغيّر الدّائم، ممّا يُنبأ أنّ الرّواية المعاصرة لا تقبل المعايير الثّابتة والأسس الرّاكدة، إنّما هي في عمليّة بحث دائمة عن الجديد الّذي يناسب متطلّبات العصر الآنيّة، ومنه يصحّ إطلاق تسمية الرّواية الجديدة عن الرّواية المعاصرة.

فقارئ اليوم يحمل فكرا واعيّا يجعله يبحث عن الجديد الّذي يتناسب معه، والجديد المخالف للمعروف الثابت، الأمر الّذي جعل الرّوائيّ يجتهد في البحث عن مناهج فنيّة وأشكال كتابيّة جديدة تخرج عن المألوف الجامد، ويسعى إلى كسر كلّ القيود الكلاسيكيّة،

1- ينظر: روبرت إيغلستون، الرّواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا، تر: لطفية الدليمي، دار المدى، بغداد- العراق، ط01، 2017م، ص41.

وتجريب ابتكار أساليب جديدة في التّعبير الفنيّ للرّواية، لتُعرّف بذلك الرّواية المعاصرة على أنّها فن التّجريب، الّذي يسعى من خلاله الرّوائيّ إلى التّمرد والتّحرّر من كلّ ما هو مألوف داخل النّص الرّوائيّ. وقد ساهم هذا الفنّ في إنتاج أعمال روائيّة ضخمة، باعتباره معيارا من المعايير التي تقاس بها درجة إبداع الرّوائيّ.

المطلب الأوّل: الرّواية التّاريخيّة

سنسلّط الضوء في هذا المطلب على نوع محدّد من الرّوايات، وهي الرّواية ذات الاتّجاه التّاريخيّ؛ حيث تعتبر الرّواية من أكثر الأدوات صدقا في تصوير التّاريخ، وقبل تقديم مفهوم حول الرّواية التّاريخيّة، لا بدّ أوّلا أن نوسّع من نظرتنا لمفهوم التّاريخ.

فهو لا يقتصر على كونه ساعةً زمنيّة، وهو ليس ذلك التّصوّر الّذي نحصره فقط في سرد أحداث ووقائع حدثت ومضت، إنّما التّاريخ هو كما عرّفه "ابن خلدون" في مقدّمته، حين قال أنّ التّاريخ: «**يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم وأخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم**»[1]، فإضافة إلى كون التّاريخ يسرد ويؤرخ لوقائع حدثت، يعرّفنا أيضا على تاريخ الشّعوب وعلاقاتها ببعضها، وهويّات وسير أقوام سابقة.

إذًا فالرّواية لها علاقة متينة بالتّاريخ، باعتباره علما موضوعيّا قائما بذاته، يحتاج إلى حفر وتنقيب، وبحث طويل وتمحيص دقيق.

أمّا الرّواية التّاريخيّة فهي خطاب أدبيّ تكون فيه المادة التّاريخيّة بمثابة مادة خام يقوم على أساسها البناء السّرديّ، سواء أكانت الرّواية سردا لتاريخ ما أو سردا لسيرة اجتماعيّة في تاريخ ما أو كانت سردا لحياة يصنع فيها الرّوائيّ التّاريخ المتخيّل بشخصيّاته، وهو ما تجسّده الكثير من أعمال نجيب محفوظ.

1- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، (د.ط)، 1377م، ص03.

فالرّواية التّاريخيّة بصيغة أخرى ماهي إلّا «**إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيليّة, حيث تتداخل شخصيّات تاريخيّة مع شخصيّات متخيّلة**»[1]، أي وجود ازدواجيّة بين ما هو متخيّل سرديّ وبين ما هو وقائعيّ سرديّ، وهو ما وُفّق فيه "والتر سكوت" في مطلع القرن التاسع عشر حينما جمع بين الشّخصيّات الواقعيّة والشّخصيّات المتخيّلة في إطار روائيّ واقعيّ محكم.

المطلب الثّاني: نماذج من روايات تاريخيّة

أمّا عن أبرز الرّوايات التّاريخيّة المعاصرة الّتي شهدت نجاحا ورواجا واسعا في السّوق الأدبيّة نذكر:

– روايات محمد فريد أبو حديد (ابنة المملوك، الملك الضّليل، وأبو الفوارس عنترة ابن شدّاد).

– رواية "آلموت" للكاتب "فلادمير بارتول": الّتي تتناول شخصيّة إسلاميّة تاريخيّة معروفة تتمثّل في حسن الصبّاح وقلعته العظيمة آلموت.

– ثلاثيّة نجيب محفوظ (بين القصرين، قصر الشّوق، السّكريّة).

– رواية "ثلاثيّة غرناطة" (غرناطة، مريمة، الرّحيل) للرّوائيّة المصريّة "رضوى عاشور": والّتي تحكي قصّة خروج المسلمين من الأندلس، فتكشف لنا بعض حقائق ما قبل سقوط غرناطة، ومأساة تهجير عرب الأندلس.

1- سعيد يقطين, قضايا الرواية العربية الجديدة-الوجود والحدود-، الدار العربية للعلوم ناشرون, بيروت-لبنان, (ط1), 2012م، ص159.

– رواية "دروز بلغراد" للكاتب "ربيع جابر"، التّي تسرد لنا بعضًا من تاريخ لبنان بالتّحديد خلال الحروب الأهليّة وترحيل الدروز إلى بلغراد، خلال الحكم العثمانيّ.

المطلب الثالث: نظرة عن الرّواية الجزائريّة المعاصرة

تعدّ الرّواية بصفة عامّة أكثر الأعمال الأدبيّة تصويرا للواقع ولمتغيّراته المتسارعة، كذلك هي الرّواية الجزائريّة، كانت تمثّل وجه الجزائر. والّتي ربّما تعود بداياتها إلى «**سنة 1947م الّتي يربطونها بصدور غادة أمّ القرى لأحمد رضا حوحو، وسنة 1957م مع ظهور الحريق لنور الدّين بوجدرة،[...] وسنة 1972م بصدور رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة**»[1]. هذه الرّوايات أو التّواريخ الثّلاثة قد وسمت ولادة الرّواية الجزائريّة المعاصرة.

واللّافت للنّظر أنّ إرهاصات الرّواية الجزائريّة كانت خلال الفترة الّتي كانت تعيش فيها الجزائر الاستعمار الفرنسيّ، أو خلال فترة العشريّة السّوداء، الأمر الّذي ساعد الرّواية والرّوائيّ على تصوير وتأريخ ما يحدث من تحولات تاريخيّة خلال تلك الفترات، لتعالج بذلك الرّواية الجزائريّة موضوع الثّورة والاستقلال وما عاشته الجزائر في التسعينات، والآثار النفسيّة الّتي خلّفتها هذه الظّروف في نفوس الجزائريّين.

كما قد ساعدت هذه الفترة على إنتاج أدبيّ روائيّ متميّز وفريد من نوعه سميّ بالرّواية التاريخيّة الجزائريّة المعاصرة، والّتي كانت بمثابة مرآة تصوّر وتكشف لنا الحقائق والقضايا التّاريخيّة.

وقد واصلت الرّواية الجزائريّة المعاصرة، التّاريخيّة تحديدا إسهاماتها في إثراء الأدب والتّاريخ الجزائريّ وإيصاله إلى العالميّة، ومن أبرز هذه الرّوايات نذكر:

1-أحمد منور، ملامح أدبيّة –دراسات في الرّواية الجزائريّة–، دار الساحل، (د.ط)، 2008م، ص09.

– رواية "اللّاز" لصاحبها الكاتب "الطّاهر وطّار" الّتي صوّرت فترة الثّورة التّحريريّة الجزائريّة والصّراعات الأيدلوجيّة القائمة أنذاك.

– رواية "شرفات بحر الشّمال" للكاتب "واسيني الأعرج"، الّذي تكلم فيها عن أزمة العشريّة السّوداء.

– رواية "شعلة المايدة" للكاتب "محمد مفلاح" والّتي تناولت موضوع مقاومة الجزائريّين للإسبان واستعادتهم لمدينة وهران سنة 1792م.

– رواية "الرّايس" الصّادرة سنة 2015م والّتي سردت فيها الرّوائيّة "هاجر قويدري" موضوع البحريّة الجزائريّة بقيادة "الرّايس حميدو" من 1790م– 1810م.

– رواية الدّيوان الإسبرطيّ للروائيّ "عبد الوهّاب عيساويّ"، الصّادرة سنة2018م؛ حيث جاءت أحداث روايته خلال الحقبة الّتي زامنت سقوط الحكم العثمانيّ واحتلال الفرنسيّين للجزائر بين 1815– 1833م. حيث تعدّ هذه الرّواية أوّل رواية جزائريّة حاصلة على جائزة البوكر العالميّة للرّواية العربيّة سنة 2020م.

وفي هذا الصّدد «**وفي حوار أجراه معه الموقع الإلكترونيّ لـ (البوكر العربيّ)، يزيح الكاتب السّتار عن الجهد الكبير الّذي بذله لتأسيس بناء روايته التّاريخيّة، باعتباره جنسا أدبيّا عصريّا، يعتمد بالأساس على النّبش والتّقصّي، وتكثيف الرّحلات وجمع التّقارير العسكريّة. فلقد أُجبر مثلا على قراءة أزيد من سبعين كتابا تتمحور حول موضوعه المعنيّ والمخطّط له**»[1]، كلّ ما قاله عبد الوهّاب عيساويّ يؤكّد صحّة قولنا حول مفهوم الرّواية فهي نتاج قارئ نهم وباحث مثقّف.

1- ينظر الموقع: /الديوان-الإسبرطي-قراءة-نقدية https://kitabat.com/cultura. تاريخ الدخول: 11/ 06/ 2022م. ساعة الدخول: 02سا: 23د صباحا.

المبحث الثّاني: مفهوم الشّخصيّة الرّوائيّة

يقوم العمل الفنّيّ للرّواية على مجموعة من العناصر التي تكمّل بعضها البعض، ولعلّ من أهمّ هذه العناصر الشّخصيّة؛ التي تكون بمثابة دعامة العمل الرّوائيّ، وركيزة هامّة تضمن حركة النّظام الدّاخليّ للرّواية؛ لذا حريّ بنا أوّلا وقبل كلّ شيء أن نقوم بتعريف الشّخصيّة من الجانب اللّغويّ، ثمّ ما اصطلح عليه اللّغويّون.

المطلب الأوّل: تعريف الشّخصيّة

أولى الدّارسون عناية بالغة بمفهوم الشّخصيّة إن كان على مستوى المعجم أو على مستوى المصطلح في حدّ ذاته، ذلك أنّها من أهمّ عناصر العمل السّردي الرّوائيّ.

الفرع الأوّل: لغـــة

يُعرّف ابن منظور في معجمه "لسان العرب" مادّة (ش خ ص) كما يلي: «**الشّخص: جماعة شَخَصَ الإنسان وغيره، مذكّر، والجمع أشخاص وشخوص وشِخاص، والشّخص: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أشخص. وكلّ شيء رأيت جِسمانه، قد رأيت شخصه [...]، والشّخيص: العظيم الشّخص، والأنثى شخيصة، والاسم الشَّخاصة [...]، وشَخُص الرّجل، بالضّمّ، فهو شخيص أيْ جسيم، وشَخَص، بالفتح، شُخوصا: ارتفع**[1]».

وفي المعجم الوسيط وردت كما يلي:« **شخص الشّيء شخوصا، ارتفع وبدا من بعيد [...]، وفلان بصره ويبصره: فتح عينيه ولم يطرف بهما متأمّلا أو منزعجا [...]، شخَص فلان شخاصة: ضخُم وعظُم جسمه، فهو شخيص، وهي شخيصة، [...] والرّامي: شخص سهمه، ويُقال أشخص سهمه و بسهمه [...]، شخّص الشّيء: عيّنه وميّزه ممّا سواه**»[2].

1- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربيّ, بيروت-لبنان، (د.ط)، 1988م، ص45.
2- إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطيّة الصّوالحيّ، محمّد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة-مصر، ط2، 1972م، ص500-501.

وفي التّنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَار**﴾[1] .

الفرع الثّاني: اصطلاحا

تمثّل الشّخصيّة عنصرا محوريّا في كلّ عمليّة سرديّة؛ حيث لا يمكننا أن نتصوّر قيام أيّ رواية دون شخصيّات، لأنّها الرّكيزة الأساسيّة التي يقوم عليها العمل الرّوائيّ، وقد اكتسبت كلمة الشّخصيّة مفاهيم متعدّدة منها:

يعرّفها عبد المالك مرتاض بقوله: «**كائن حركيّ ينهض في العمل السّرديّ يوظّفه دون أن يكوّنه**»[2]. والمقصود بقول مرتاض أنّ الشّخصيّة هي التي تحرّك الأحداث وتنميّها وتتفاعل معها سواء أ كان ذلك التّفاعل إيجابيا أم سلبيّا، وبالتّالي فهي من أهمّ عناصر العمل الرّوائيّ السّرديّ.

يقول حميد لحميداني «**أنّ "رونالد بارت" يُعرّف الشّخصيّة الحكائيةّ بأنّها: نتاج عمل تأليفيّ**»[3]، يقصد رونالد بارت من خلال هذه العبارة أنّ الشّخصيّة الحكائيّة أو الرّوائيّة هي عبارة عن مجموعة من الأعمال المتداخلة فيما بينها والتي تكمّل بعضها البعض.

فالشّخصيّة الرّوائيّة لها دور فعّال في سرد الأحداث، بل والأكثر من هذا أنّها تقوم بأهمّ الوظائف في العمل الرّوائيّ ما لا تقوم به بقيّة العناصر الفنّيّة الأخرى، فهي التي تستطيع بيسر التّعامل مع الأزمنة والرّبط فيما بينها.

ويضيف حميد لحميدانيّ: «**إذا كان النّقد الشّكلانيّ ممثّلا في أبحاث " فلاديمير بروب" على الخصوص، ونقد علم الدّلالة المعاصر، ممثّلا في أبحاث "غريماس"، قد حاولا معا**

1- رواية ورش عن نافع، القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية42.
2- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السّرديّ معالجة تفكيكيّة سيميائيّة مركبة، لرواية (رقاق المدقّ)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 1995م، ص125.
3- حميد لحميدانيّ، بنية النّصّ السّرديّ من منظور النّقد الأدبيّ، المركز الثّقافيّ العربيّ للطّباعة و النّشر و التّوزيع،ط1، 1991، ص53.

تحديد هويّة الشّخصيّة في الحكي بشكل عامّ من خلال مجموع أفعالها دون صرف النّظر عن العلاقة بينها وبين مجموع الشّخصيّات الأخرى التي يحتوي عليها النّصّ، فإنّ هذه الشّخصيّة قابلة – كما رأينا سابقا – لأن تُحدّد من خلال سماتها، ومظهرها الخارجيّ»[1]؛ فالكاتب هنا يسلّط الضّوء على أهمّيّة الشّخصيّات الرّئيسة في العمل الرّوائيّ ومدى تفاعلها على الحدث الرّوائيّ، أمّا الشّخصيّات التي لا تشارك في العمل الرّوائيّ بصورة واضحة فتعدّ في نظره مجرّد شخصيّات ثانويّة مساعدة، كما أنّ وظيفة الشّخصيّة تكون دائما محصورة في تطوّر الأحداث الرّوائيّة و تفاعلها معها.

المطلب الثّاني: أنواع الشّخصيّة

كما سبق وأن نوّهنا بأنّ الشّخصيّة هي المحور الرئيس للرّواية؛ حيث تعتبر مصدرا لحركيّة الأحداث ومنحها النّموّ والتّطوّر، وقد قسمت الشخصيات إلى عدة أنواع، وقد تباينت الآراء في هذا الموضوع ؛ فمنهم من يقول أنّ الشّخصيّة نوعان: متحركة وساكنة (ثابتة), وهناك من يقول أنّ الشّخصيّة تنقسم إلى مركبة وبسيطة, ورأي ثالث يقول بأنّها أربعة أنواع، رئيسيّة, مساعدة, معارضة وثانويّة، وفيما يلي أهمّ تصنيفات الشّخصيّة الرّوائيّة:

الفرع الأوّل: الشّخصيّات الرّئيسيّة

تمثّل المحور الرّئيس الذي تدور حوله أحداث الرّواية، و«**هي الشّخصيّات التي تضطلع بالدّور الأكبر في تطوّر الحدث؛ فهي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وليس من الضّروريّ أن تكون الشّخصيّة الرّئيسيّة بطل العمل دائما، ولكنّها الشّخصيّة المحوريّة، وقد يكون هناك منافس لهذه الشّخصيّة، ومع ذلك تبقى هي المسيطرة على الحدث الرّوائيّ والمتميّزة في حركة تغيّرها في الحدث**»[2]، نفهم من هذا القول أنّ الشّخصيّة الرئيسيّة في

1- المرجع السّابق، ص 53.

2- شرحبيل إبراهيم، أحمد المحاسنة، بنية الشّخصيّة في أعمال مؤنس الرّزاز الرّوائيّة دراسة في ضوء المناهج الحديثة، أطروحة دكتوراه في اللّغة العربيّة، جامعة مؤتة، الأردن، (د.ط)، (د.ت)، ص214.

العمل الرّوائيّ هي التي تحمل على عاتقها مسؤوليّة قيادة الأحداث الرّوائيّة وتطوّرها إلى الأمام، بيد أنّه ليس من الضّروريّ أن تكون هذه الشّخصيّة بطلة العمل دائما، إنّما قد تتقاسم البطولة مع شخصيّات ثانويّة أخرى، إلاّ أنّ سيطرتها على الأحداث تجعلها متميّزة دائما.

الفرع الثّاني: الشّخصيّات الثّانويّة

هي التي تقوم بدور المساعدة لتسيير الأحداث، و«**هي الشّخصيّة التي تأتي مساعدة للشّخصيّة الرّئيسيّة، ولا يمكن لأيّة رواية أن تخلوَ منها، فأهمّيّتها كأهمّيّة الملح في الطّعام، وغالبا ما تكون غير نامية تسير ضمن مستوىً واحد لا تتعدّاه وتكون إمّا عوامل كشف عن الشّخصيّة المركزيّة وتعديل سلوكها وإمّا تتبَع لها، تدور في فلكها وتنطق باسمها فوق أنّها تُلقي الضّوء عليها وتكشف عن أبعادها. فالشّخصيّة الثّانويّة لها أهمّيّة لا تنكر في العمل الرّوائيّ، ونلحظها أيضا تساعد على خلق الصّراع وإثارة الحيويّة**»[1]، ومنه فإنّ الشّخصيّة الثّانويّة هي الشّخصيّة المساعدة للشّخصيّة الرّئيسيّة، ولا يمكن لهذه الأخيرة الاستغناء عنها بأيّ حال من الأحوال على الرّغم من أنّها في كثير من الأحيان تكون ثابتة وغير نامية إلاّ أنّها تساعد في إظهار دور الشّخصيّة الرّئيسيّة وكشف سلوكها.

نستنتج ممّا سبق ذكره أنّ الشّخصيّة في الرّواية نوعان أساسيّان، و يتفرّع عن كلّ نوع مجموعة من الأنواع الأخرى، ولكلّ شخصيّة خصائصها ومميّزاتها، فالشّخصيّة الرّئيسيّة هي تلك التي تقوم بالأدوار المهمّة والأساسيّة في العمل الرّوائيّ، أمّا الشّخصيّة الثّانويّة فهي تلك التي تقوم على مساعدة الشّخصيّات الرّئيسيّة أو ربط الأحداث فيما بينها.

1- المرجع السّابق، ص223.

المطلب الثّالث: أهمّيّة الشّخصيّة ودورها في العمل الرّوائيّ

تتّفق كلّ الدرّاسات الحديثة على أنّ الشّخصيّة هي أحد المكوّنات الحكائيّة التي تشكّل بنية النّصّ لكونها تمثّل العنصر الفعّال الذي يقوم بالأحداث؛ حيث يعمل الكاتب على بنائها بناءً متناميًا ومتطوّرا، ونظرا لأهميّتها القصوى، فقد أولاها النّقّاد والأدباء المحدثون مكانة بالغة في مجال الأدب والنّقد، لكونها ضروريّة في كلّ عمل أدبيّ روائيّ، فالعمل الرّوائيّ لا يستقيم إلاّ بحضور الشّخصيّة أو مجموعة من الشّخصيّات، هذه الأخيرة التي تحرّك أحداث العمل الحكائيّ وتطوّره وتنمّيه، فلا يُعقل بأيّ حال من الأحوال خلّو العمل الرّوائيّ من هذا المكوّن الفعّال في هذه العمليّة، وسواء أكانت الشّخصيّة رئيسيّة أم ثانويّة فإنّها تتقاسم الدّور والأهميّة ذاتها، ذلك أنّ الشّخصيّة الثّانويّة مساعدة للشّخصيّة الرّئيسيّة، فلا تستطيع هذه الأخيرة الاضطلاع بهذا الدّور الفعّال بمفردها بل تحتاج إلى من يمدّ لها يد العون، والشّخصيّة الثّانويّة هي التي تلعب هذا الدّور؛ إذًا فلكلّ نوع منهما دوره الخاصّ، فهما وجهان لعملة واحدة يكمّلان بعضهما البعض ولا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر، ولا يمكن للعمل الرّوائيّ الاستغناء عن أيّ منهما.

المطلب الرّابع: مفهوم الشّخصيّة المتمرّدة

وفي روايتنا محلّ الدّراسة "الدّيوان الإسبرطيّ" مجموعة من الشّخصيّات الرّئيسة وهي (ديبون، كافيار، ابن ميّار، حمّة السّلاّويّ ودوجة)، والعديد من الشّخصيّات الثّانويّة الأخرى منها (لالّة سعديّة، لالّة مريم، لالّة زهرة، المزوار، الدّوق روفيغو، القنصل دوفال ...)؛ حيث تكاملت هذه الشّخصيّات فيما بينها في تطوّر أحداث الرّواية.

وفي هذا البحث سلّطنا الضّوء على الشّخصيّات الرّئيسة الخمس (ديبون، كافيار، ابن ميّار، حمّة السّلاّويّ ودوجة)، محاولين التّركيز على صورتها المتمرّدة بمختلف دلالاتها ومواصفاتها.

وبما أنّنا سنتطرّق – في بحثنا هذا– إلى صورة المتمرّد في شخصيّات الرّواية الرّئيسة محلّ الدّراسة، وجب علينا أوّلا أن نعرّج على مفهوم التّمرّد لغة واصطلاحا قبل الولوج إلى الجزء التّطبيقيّ.

الفرع الأوّل: التّمرّد لغة

وردت لفظة التّمرّد عند ابن منظور كما يلي: «**وتمرّد: أقبل وعتا، والمارد من الرّجال [...] العاتي الشّديد، وأصله من مرَدة الجنّ والشّياطين [...]، وقال ابن الأعرابيّ: المَرَدُ التّطاول بالكِبر والمعاصي، ومنه قوله تعالى: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾، أي تطاولوا**»[1].

الفرع الثّاني: التّمرّد اصطلاحا

عرّفته موسوعة "لاروس" الفرنسيّة بأنّه: «**العمل الّذي تقوم به مجموعة معارضة ضدّ السلطة القائمة بهدف القضاء عليها**»[2]، ومعنى ذلك الرّفض التّام للأوضاع خاصّة السّياسيّة والاجتماعيّة، والقيام بانتفاضة أو ثورة ضد نظام الحكم، الهدف منه التّعبير عن الرّفض.

عرّفه القاموس السّياسيّ الفرنسيّ بأنّه: «**انتفاضة مسلّحة تقوم بها مجموعة من النّاس ضدّ الحكومة القائمة بهدف القضاء عليها، ويحصل التّمرّد عادة ضدّ الحكومة، وضدّ الاحتلال، وضدّ النّظام الدّكتاتوريّ**»[3]، هذه العبارة توضّح أنّ التّمرّد عادة ما يكون مسلّحا أو عن طريق قيام الثّورة أو الحرب أو هي انتفاضة الشّعب الرّافض للأوضاع المزرية ضد نظام الحكم السّائد في مكان معيّن، كما قد يكون التّمرّد ضد الاحتلال بكلّ أشكاله خاصّة السّياسيّ، أو ضدّ النّظام الدّكتاتوريّ، وهو أشدّ أنواع الحكم جورا وطغيانا، محاولة من هؤلاء المتمرّدين التّخلّص من الاحتلال أو من نظم الحكم الفاسدة أو الدّكتاتوريّة أو...

1- ابن منظور، المرجع السّابق، ج7، ص13.
2- ينظر الموقع: مصطلح-التمرد- https://www.ra2ej.com. تاريخ الدخول:07/ 06/ 2022م. ساعة الدخول: 18سا: 05د مساء.
3- ينظر الموقع السّابق. نفس تاريخ الدّخول. نفس ساعة الدّخول.

إيمانا من هؤلاء بأنّ ما أُخذ بالقوّة لا يستردّ إلاّ بالقوّة، كما قد يكون التّمرّد بطريقة سلميّة عن طريق المفاوضات أو الحوار أو تقديم شكاوى للجهة الوصيّة، وهو ما وجدناه في شخصيّات رواية "الدّيوان الإسبرطيّ" محلّ الدّراسة.

I- الفصل الأول: صورة التّمرّد في شخصيّتي

ديبون وابن ميّار

I-1- شخصيّة ديبون

I-2- شخصيّة ابن ميّار

مفتتح

تختلف سمات الشّخصيّة وملامحها في الأدب الرّوائيّ من رواية إلى أخرى باختلاف الذّات، والزّمان، والمكان، والثّقافات، والجوانب التّاريخيّة والجغرافيّة، الّتي يعتمدها كلّ روائيّ، حتّى يبثّ في كلّ شخصيّة حياة نصيّة توازيها وتمثّلها.

هذه الأمور تُسهم كلّها في إعطاء أبعاد داخليّة وخارجيّة ودلالات متميّزة للشّخصيّة باعتبارها محورا من المحاور الرئيسة في الرّواية، ناهيك عن كونها الرّكيزة الأساس الّتي يقوم عليها العمل السّرديّ، ثم باعتبارها كائنا ورقيّا- بحسب البنيويّين- يعمّق منظور الرّواية بما يضيفه من دينامية تؤثث الحركة داخل النّصّ الروائيّ وتعزّز ديمومته، كما تعدّ دراسة المظهر الخارجيّ والدّاخليّ للشّخصيّة من أبرز الدّراسات الّتي شغلت الكثير من الدّارسين والباحثين، وكذلك نحن.

وعليه، يسعى هذا الفصل إلى دراسة شخصيّة " **ديبون** " **وابن ميّار** " بتقديم صورة واضحة عنهما؛ تقوم على رصد صور "التّمرّد" بكيفياتها وأشكالها ودلالاتها وأبعادها الممكنة ليس كما تصوّرها الرّوائيّ بل كما نتوخاه إثر تلقّينا لصورها وتفاعلاتها في مقابل تنامي السّرد ودلالاته، وذلك بتحري المظاهر الجسديّة والماديّة والمعنويّة لكلتا الشّخصيّتين بداية بـ (ديبون) ثمّ (ابن ميّار)، لنتوصّل في الأخير إلى إعادة رسم أو تشكيل صورة عن (التّمرّد) التي تحملها كلّ شخصيّة في داخلها، مع بيان دقيق لأوجه الاتّفاق والاختلاف بينهما.

I – 1– المطلب الأول: شخصيّة ديبون

ديبون هو مواطن فرنسيّ، إذ يعتبر "Dupon" اللقب الثاني الأكثر شعبيّة في فرنسا، نسبة إلى الجنرال الفرنسيّ الذي يُعد واحدا من الأعضاء البارزين في الثّورة الفرنسيّة والحروب النّابليونيّة "Pierre Dupont de l'Étang"، و«**وفقا لتوزيع اللقب من فوري بيرس فإنّ اسم ديبون هو الأكثر شيوعا في فرنسا**»[1]، عمل محرّرا في جريدة (لوسيمافور دو مارساي)، يتّضح ذلك من خلال قوله: «**وصلت إلى مبنى الجريدة متأخّرا، ودخلته أكثر ثقة، ألم تسحب جميع النسخ ؟ ألم يجعل مقالي النّاس تتجمهر عند الميناء ؟ بهذه الرّوح عبرت الرّواق إلى مكتبي**»[2]. كُلِّف بتغطية الحملة العسكريّة الفرنسيّة على الجزائر، بقوله: «**لهذا وضعت لوناجور شرطا لرحيلي إلى الجزائر كمراسل حربيّ**»[3]؛ أيْ أنّه سيقوم بتدوين كلّ كبيرة وصغيرة تراها عيناه، منذ انطلاق السفن والبواخر من ميناء طولون باتجاه الجزائر، وهو ما أمره به قبطان باخرة "لوناجور": «**دوّن الآن في دفترك يا ديبون، أنّنا قد بدأنا الحملة على الجزائر**»[4].

كما تشير الرّواية إلى الدّيانة المسيحيّة التي يعتنقها ديبون، فكثيرا ما يردّد «**المجد لك أيّتها العذراء**»[5]، وكثيرا ما نادى بمبادئ الكتاب المقدّس كإلغاء العبوديّة، والسّعي نحو الخير ومساعدة الآخر بالرّحمة، والكفّ عن سفك الدّماء وقوفا على تعاليم النّصرانيّة بل الصّليبيّة؛ لأنّه توهّم أو أوهم الجزائريّين بأنّه يخوض حربا تريد تخليصهم من ذلّ الأتراك واضطهادهم بدل كونه يخوض حربا صليبيّة تعد تكملة لسابقاتها التي بدأت بفلسطين وانتهت بزوال

1- يُنظر الموقع: اللقب-معنى-وتاريخ-الأسرة: https://eferrit.com/dupont-. تاريخ الدخول: 13/ 05/ 2022م. ساعة الدخول: 09سا: 46 صباحا.
2- عبد الوهّاب عيساويّ، الديوان الاسبرطي، دار ميم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2018، ص27.
3- المرجع نفسه، ص99.
4- م.ن، ص106.
5- م.ن، ص105.

الأندلس، أو كما حرص على ترديده دائما، وذلك في قوله: «**لم يشأ الرّب أن تُسفك الدّماء في سبيل إعلاء كلمته**»[1].

كذلك المساواة بين البشر «**فالرّب الذي نؤمن به لا يفرّق بين البيض والسّود إلاّ عندنا نحن الفرنسيّين**»[2]، فكره ديبون للتّمييز والعنصريّة جعله يبغض على تصرفات الحكومة والمجتمع الفرنسيّ. وإنّ شدّة إيمانه بعيسى -عليه السّلام- والحواريّين، جعلته يرى نفسه منهم يتشارك معهم وصاياهم بقوله: «**سأجلس إلى جانبهم في حقل الزّيتون، وسأقاسمهم الخبز والخمر، وربّما يصحبونني إلى فيافي بعيدة، وهناك يمكنني قول ما أريد، لأنه بالتّأكيد لن يختلف عن الوصايا الّتي يحملونها**»[3]، ولو أردنا أن نقف قليلا عند قول ديبون الأخير لوجدناه يحمل كثيرا من المعاني التي تكشف عن روحه وذاته، فحقل الزّيتون يحمل دلالة العيش بسلام وهو المتعارف عنه، بينما مقاسمته للخبز، فهي تحمل دلالة التّكافل الاجتماعيّ، ممّا يدّل على أنّ شخصيّة ديبون الفرنسيّة في ظل ما تخطّط له فرنسا حكومة وشعبا تطمح إلى التّعايش بسلام والتّكافل والتّعاون بين الأوطان والشّعوب.

ليس هذا فقط فعبارة "وهناك يمكن قول ما أريد" توحي بالكبت الّذي تعاني منه الشّخصيّة الرّوائيّة؛ كبت الكثير من الأمور التي لا تستطيع البوح بها، خوفا فتركتها في خلجات النّفس، تلك الأمور التي تتعارض مع إجراءات وقوانين الدّولة والحكومة الفرنسيّة، والّتي توحي بروحه الخيّرة المُحِبّة، المسالمة، فديبون ودّ«**لو أنّهم يصلّون إلى إنهاء هذا الخلاف، كرهت إراقة الدّماء**»[4]، فهو يأمل إلى إنهاء كلّ الحروب والخلافات القائمة في العالم عامّة وخلافات الدّولة العثمانيّة بالجزائر وفرنسا خاصّة.

1- المرجع السابق، ص176.
2- المرجع نفسه، ص182.
3- م.ن، ص172.
4- م.ن، ص176.

ورغم تلك الرّوح المُحِّبة للسّلام والتّعايش، إلاّ أنّنا نجده في صراع دائم مع ذاته، فتارةً تراه يفتخر بها وبثقته فيها وندرك ذلك بقوله: «**كلّ يوم تزداد ثقتي في ضرورة العودة إلى الجزائر**»[1]، وأحيانا أخرى تراه متردّد من هذه الخطوة خاصة حين قال: «**جالت بخاطري أفكار عديدة، تشكّك في معنى قدومي إلى هذه الحملة**»[2]، وحين وصوله للجزائر التي يسعى لزيارتها «**بدى له الأمر مشوّشا أكثر ممّا ينبغي**»[3]، ممّا جعله يعيش في دوّامة خوف وتردّد.

فحبّ الاكتشاف ورغبته في التّعرف على الجزائر المحروسة الّتي لطالما سمع عنها الكثير، جعل من ديبون مراسلا حربيّا مصمّما على الانتقال مع الضّباط والجيش الفرنسيّ لجزائر والنزول بميناء سيدي فرج، ولكنّ النّتائج الّتي قد آلت إليها الحملة في "سطاوالي" من قصف، وقتل، ومجازر دمويّة، وقطع، وأشلاء، جعلت من ديبون رجلا خائفا مضطربا، يخشى إعادة حدوث نفس الشيء مرة أخرى، حينما قال: «**خشيت أن يتكرّر ما حدث في سطاوالي، حينها لن أسامح نفسي أنّني سرت في ركّاب الحملة، وسيلازمني تأنيب الضمير ما حييت**»[4]. إذن سيحدث له كما يحدث لأيّ رجل يفكّر بعقلانيّة وبإنسانيّة تجاه الآخر.

كما أنّ ديبون منذ بداية الرّواية وفي فصولها الخمسة كان يمثّل صورة العقل المفكّر المضطرب، الباحث عن الحقيقة؛ حقيقة استعمار فرنسا للجزائر، والذّنب الذي اقترفه الأهالي الجزائريّين و العثمانيّين على حدّ سواء.

فانتهى إلى أنّ «**المال هو إله هؤلاء النّاس الّذين تراهم من حولك، قباطنة وبحارة وجنودا، وأيضا الصّيادون كلّهم يسعون إلى حظوظهم من أموال تلك المدينة، ما يغريهم ليست أمجاد الرّب بل صناديق الذهب الّتي يخبئها باشا الجزائر**»[5]، وفي موقع آخر نجده

1- المرجع السابق، ص28.
2- المرجع نفسه، ص252.
3- م.ن، ص256.
4- م.ن، ص254.
5- م.ن، ص183.

يقول: «**لطالما تجلّت الحقيقة لي، لا يهتم الجنود بمجد أمّتهم، بل المال ما أغراهم على السّير في هذه الحملة**»[1]. هذه الصّورة رسمت لديبون حقيقة أنّ العالم لا يهمّه الآخر إنّما الّذي يهمّه هو المصالح الشّخصيّة والانشغالات الخاصّة، فنادوا بالعدالة والحريّة والمساواة والإخاء كمسمّيات ظاهريّة فارغة المحتوى، حتّى يصلوا في الحقيقة إلى قضاء حاجاتهم.

قبل كلّ هذا لو تمعّنّا أكثر في ديبون كشخصيّة تحمل صفات وسمات الرّجل المناسب في المكان المناسب لكن بصمت، لرأيناه أيضا يحمل منظورا فلسفيّا ذا طابع منطقيّ، فمن أقواله الفلسفيّة المأثورة: أنّ «**أكثر النّاس تجاربا في الحياة هم أكثرهم حكمة وتواضعا ووضوحا**»[2]؛ وذلك بفضل الخبرة الّتي اكتسبوها على مرّ السّنين، وفي موضع آخر نجده يقول: «**لا يمكن للإنسان أن يتجاوز انبهاره الأوّل بالأشياء بسهولة، تظل عالقة بذاكرته، ثمّ تتحوّل إلى جزء من شخصيّته**»[3]، وهو بالفعل ما حدث له أوّل مرة ركب فيها باخرة "لابروفانس" الّتي كان يراها أعظم سفينة في حياته وستظلّ.

أمّا عن أخلد قول ذُكِر في الرّواية هو أنّ «**العالم أصبح مدعاة للمسخرة، إنّنا لم نترك شيئا لم نسخر منه؛ الموت والحياة والله والشّيطان والرّوح والجسد**»[4]، وهي حقيقة عامّة، وواقع نعيشه اليوم.

ديبون بمنطقه الفلسفيّ وبروحه الّتي تحمل التّفاؤل لغد ومستقبل فرنسيّ أفضل، و«**بوجود ملك يقدّس مبادئ الرّب، إذ يريد إعادة المجد لهذه الأمّة الّتي أفقدها نابليون الكثير من سمعتها**»[5]، خاصّة وأنّ صاحب الرّوح النّيّرة يحمل قاسما مشتركا مع "دي بورمون" قائد الحملة ووزير الحربيّة الفرنسيّة – الّذي أرّخ له الدكتور أبو القاسم سعد الله وقال: «**أنّه في 8 فبراير أقرّ الملك شارل العاشر مشروع الحملة وأصدر مرسوما ملكيّا**

1- المرجع السابق، ص317-318.
2- المرجع نفسه، ص185
3- م.ن، ص99.
4- م.ن، ص28.
5- م.ن، ص102.

بتعيين الكونت دي بورمون قائدا عامّا للحملة»[1] –، ويظهر ذلك حين قال عنه: «**كان مغتبطا برؤيتنا المشتركة للحملة، وتفاؤلي بنتائجها**»[2].

فكلاهما يسعيان إلى «**تحرير الإنسان الذي اضطهِد ولا يريد مزيدا من سفك الدّماء**»[3]، وهنا يتجلّى حلم ديبون في تحرير الإنسانيّة من الظلم والاستبداد والاستعباد، إذ يُذكر في هذا المقام: «**نحن نحمل الحريّة والنّور لهؤلاء العرب ضدّ مضطهديهم العثمانييّن**»[4]؛ فهذه الحملة تحمل مفهوما مغايرا لديه عن الضّباط الفرنسيّين الّذين يطمعون في استعادة أمجادهم وتغطية هزائمهم باستعمار بلد في شماليّ إفريقيا، بينما هو يراها نورا وإعادة للحريّة التي سلبها العثمانيّون من الشّعب الجزائريّ.

كان لديبون صديق قديم يدعى " كافيار"، – الّذي عادةً ما كان يُجري معه حوارات تخيّليّة (خاصة في الفصل الأول من الرّواية) –، يعمل لدى القوّات الفرنسيّة، كما كان «**نائب قائد الهندسة المدنيّة بالحكومة الفرنسيّة الجزائريّة وصديق الدّوق روفيغو حاكم الجزائر، ووزير في حكومة نابليون**»[5]، وكان ديبون دائما ما يتضارب معه في الرّأي حول حقائق عدّة، أكثرها تلك الّتي تخصّ مساعي وأطماع فرنسا الخارجيّة.

كان كافيار يسخر من طيبة ومحبّة ديبون للجزائريّين، وعدم تحمّله لرؤية الدّماء والخراب، وهو ما يقوله عن نفسه: «**لو رآني كافيار يسخر منّي ويقول: ما الّذي أجبرك على المجيء هنا، ثمّ تفرّ من رؤية سور يسقط أو رجل يقتل ؟!**»[6]، وفي موضع آخر نجده يسخر من رقّة قلبه وحساسيّته المفرطة فيقول له: «**دعك من أمر الحروب، إنّها لا**

1- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث- بداية الاحتلال، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، (د.ت)، ص33.
2- عبد الوهاب عيساوي، المرجع السابق، ص252.
3- المرجع نفسه، ص107.
4- م.ن، ص250.
5- محمّد الأمين بحريّ، الدّيوان الإسبرطيّ لعبد الوهّاب عيساويّ، الرّواية التّاريخيّة ثلاثيّة التّخييل بناءً و تخييلا و فكرا، الجزائر. ينظر: الكلمة مجلة أدبية فكرية شهرية: http://www.alkalimah.net/Articles/Read/22104. تاريخ الدخول: 31/ 05/ 2022م. ساعة الدخول:12سا: 49د زوالا.
6- عبد الوهاب عيساويّ، المرجع السابق، ص257.

تعنيك في شيء لست من الصّلابة لتحتمل حقيقتها»[1]. ليس هذا فحسب بل اتهمه بأنّه يشبه العرب والشّرقيّين في انفعالهم ومزاجيّتهم وطباعهم؛ إذ قام يقول له: «**أصبحت يا ديبون تتصرّف مثل هؤلاء الشّرقيّين، وتنفعل مثلهم، مخالطتك لهم أصابتك بالعدوى والآن أراك تماثلهم في كثير من الطّباع، ما الّذي يجبرك على الانحياز إلى هؤلاء البرابرة ؟**»[2].

وإن أردنا الإجابة عن تساؤل كافيار لقلنا أنّ ديبون يملك تعاطفا وتضامنا مع الشّعب الجزائريّ المُستعمَر، رأفة بحاله وبمصيره على يد كافيار وأشباهه، ولهذا السّبب وصف هذا الأخير ديبون بسذاجة التّفكير وشدّة العناد في هذا الحديث: «**دائما كان كافيار أفصح منّي ولكّن يعترف دوما أنّي أشدّ عنادا منه**»[3].

هذه الأمور كلّها جعلت كافيار يتوصّل إلى نتيجة واحدة هي أنّ صديقه حالم، يعيش في أوهام لا حقيقة ولا مكان لها في الواقع، وهو ما أقرّه بنفسه: «**ربّما كان كافيار على حقّ كنت أحمل العديد من الأوهام في رأسي لكّنها لم تتناقض مع الحقيقة في شيء، أحيانا تصبح الحقيقة وهمًا والوهم حقيقةً**»[4]، ورأيه الفلسفيّ الأخير يدّل على شدّة عناده وإصراره وإيمانه الشّديد بتحقيق المصير الّذي يحلم به، وهو إعادة بناء عالمٍ جديدٍ تسوده المبادئ الرّبانيّة الفاضلة، لاوجود فيه للكراهية والمبادئ اللّاإنسانيّة.

ومن الحقائق الأخرى الّتي وقع فيها خلاف بينهما (نقاشات عقيمة)، هي حقيقة الإنجليز، حيث نجد ديبون معجب بما حقّقته الأمّة الإنجليزيّة من انتصارات وإنجازات، فيقول في هذا الشأن: «**لطالما كنت مؤمنا بمجد هذه الأمّة، بينما كان الجميع يراها عدوّا لنا**»[5]، كيف لا وهي الّتي كان لها الفضل الكبير في التّخلص من حكم الإمبراطور "نابليون بونابرت" ومن العار الّذي ألحقه بفرنسا حين تمّ «**الإنزال به وجيشه هزيمة ساحقة في**

1- المرجع السابق، ص260.
2- المرجع نفسه، ص26.
3- م.ن، ص20.
4- م.ن، ص247.
5- م.ن، ص101.

موقعة لا ينساها التّاريخ، وهي موقعة واترلو»[1]، التي كانت خاتمة لسلسلة الحروب البونابرتيّة، وإعلانا على نهاية الأسطورة الّذي كان يصفه ديبون – طيلة الرّواية – بالمجنون، ذلك أنّه «**حاول أن يحلّ مكان الرّب، وهاهم أتباعه أيضا يسيرون على خطاه**»[2] وكافيار أبرز مثال حيّ يتكلم عنه ديبون.

كما أنّه يرى أنّ «**أفضل انتصار حقّقه الإنجليز بعد تحريرهم العبيد، هو قضاؤهم على ذلك المجنون**»[3]؛ فهو يرى أنّ الإمبراطور العظيم "نابليون" قد أفقد الأمّة الفرنسيّة الكثير من سمعتها ومكانتها في أوروبا بفعل جرائمه الشّنعاء، وسياسته القاسية الّتي تتبرّأ منها الإنسانيّة. وإن دلّ هذا فإنّه يدّل على معارضة ديبون ورفضه لكلّ أنواع الظّلم والاستعباد والقمع الّذي تجسّده السّياسة الاستعماريّة الفرنسيّة على مرّ التّاريخ.

كما أنّ معارضة ديبون لكلّ أقوال وأفعال كافيار المشينة أدّت إلى فضّ العلاقة بينهما، حيث يقول ديبون عن هذا الأخير: «**قرّرت أنّني لن أرجع إليه [...] طردنا في آخرها آمرا جنوده ألاّ يسمحوا لي بعبور البوابة**»[4]، لتنتهي بذلك سنوات صداقة طويلة بين شخصين كانا يمثلان التقاء الماء والنّار.

ذلك أنّ لكل واحد منهم آمال لو تحقّقت للأول فلن تتحقّق للثاني والعكس صحيح، أمّا عن آمال ديبون فقد كان يطمح إلى تخليص الأهالي الجزائريّين من ظلم و أطماع الفرنسيّين وعلى رأسهم كافيار، وتحقيق عالم مثاليّ بالجزائر، فوجد في السّيمونيّين* الملاذ لهذا الحلم، فيقول: «**يمكن لأهالي المحروسة انتظار السّيمونيّين ليشيّدوا معالم مجتمع جديد يعمّه السّلام والمساواة مع الفرنسيّين وكلّ الأوروبيّين [...] السّيمونيّون هم مستقبل الجزائر**»[5]،

1- أيمن أبو الروس، شخصيات لا ينساها التاريخ- نابليون بونابارت إمبراطور فرنسا الذي اكتسح أوروبا ثم وقع في فخ الروس، مكتبة ابن سينا، القاهرة- مصر، (د.ط)، 2013، ص97.

2- عبد الوهاب عيساوي، المرجع السابق، ص186.

3- المرجع نفسه، ص252.

4- م.ن، ص320.

*- السيمونيّون هم أتباع سان سيمون الفيلسوف والإقتصادي الفرنسي (1760-1825).

*- يَنظر الموقع: /سان_سيمونية/ https://www.marefa.org/. تاريخ الدخول: 01/ 06/ 2022م. ساعة الدخول: 18سا: 42د مساء.

الجزائر»[1]، هؤلاء هم الّذين أعادوا التّفاؤل إلى وجه ديبون بعد خيبات الأمل الّتي كان يتلقاها من قبل حكومته.

خاصّة وأنّه كان مستاء من قرار تفتيش التوابيت التي كانت تحمل جثث أبناء رجل عظيم كالقائد بورمون خوفا، من أن يكون قد خبّأ الذهب فيها، فيقول: «**أيّ مجد هذا الّذي تفتخر به هذه الأمّة وهي تفتّش التّوابيت ولا تبالي بفتح عظيم ؟!**»[2]. لكن بوجود من يدافع عن مبادئ الرّب قولا وفعلا، خاطب ديبون صديقه الموريّ* ابن ميّار بتفاؤل وأمل: «**سيتغيّر كلّ شيء ويعاد ما أُخِذ منكم و سيرحل كافيار**»[3]، جملة ديبون الأخيرة كانت بمثابة جبر خاطر لابن ميّار ولسكان الجزائر. وفي نفس الوقت تحمل دلالة أنّ هذا المواطن الفرنسيّ يرغب في عودة الجزائر لأهلها بافتكاكها من غصّابها.

رغم بصيص هذا الأمل إلّا أنّ خيبات الأمل الّتي تلاحق ديبون والحقائق القاسية والبشعة الّتي اكتشفها بداية بفضيحة الحكومة الفرنسيّة وممارساتها الاستعماريّة القذرة بسرقة عظام موتى الجزائريّين والمتاجرة بها لتبيض السكر الفرنسيّ، وهي الحقيقة الّتي أخبره بها الطّبيب: «**إنّ الباخرة تحمل عظاما بشريّة [...] لمصانع السّكر، إنّها تستعمل لتبييضه**»[4]. وآخرها قرار نفي صديقه ابن ميّار، الّذي كان يراه التوأم الرّوحيّ له، بحكم أنّهما كانا يتشاركان نفس الحلم، فيقول: «**قرأت قرار النّفي أكثر من مرّة وغضبت**»[5].

كلّ هذه النتائج والحقائق جعلت ديبون يقع فيما كان يخشى الوقوع فيه (تأنيب الضمير)، فيقول في هذا الموقف: «**شعرت بمقدار من الكراهيّة لنفسي، ولكلّ الّذين حملتهم**

1- عبد الوهاب عيساوي، المرجع السابق، ص324.
2- المرجع السابق، ص318.
*- الموريّ والجمع موريّون: حسب الموسوعة البريطانية "بريتانيكا" فالموري (بالإنجليزية Moor) هم السكان المسلمون لشبه الجزيرة الإيبيرية أي الأندلس أو ما بات يعهد اليوم بإسبانيا والبرتغال. أي حتى مصطلح المور يشير إلى المزيج العربي والأمازيغي والأوروبي الذي تشكل في البلاد بعد فتح الأندلس حسب نفس المصدر.
*- ينظر: الكشّاف: https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5ed62ce60975550fe2522c3e . تاريخ الدخول: 01/ 06/ 2022م. ساعة الدخول: 18سا: 52د مساء.
3- عبد الوهاب عيساوي، المرجع السابق، ص325.
4- المرجع نفسه، ص16.
5- م.ن، ص328.

السفن إلى المحروسة، كم كان قاسيا اكتشاف الحقائق بعد فوات الأوان»[1]. هذه الحالة الّتي وصل إليها ديبون من تأنيب الضمير والنّدم الشديد لم تكن نابعة إلّا من حبّه للإنسانيّة وتعاطفه مع الآخر بغضّ النّظر عن الفروقات واختلاف الأيدولوجيات، ورفضه لكلّ الإجراءات التّعسفيّة للحكومة الفرنسيّة تجاه الجزائر وتمردّه عليها.

وقبل أن ننهي شخصيّة ديبون ارتأينا أن نجمل صورة التّمرّد لديه في المربّع السّيميائيّ على النّحو التّالي:

1- المرجع السابق، ص329.

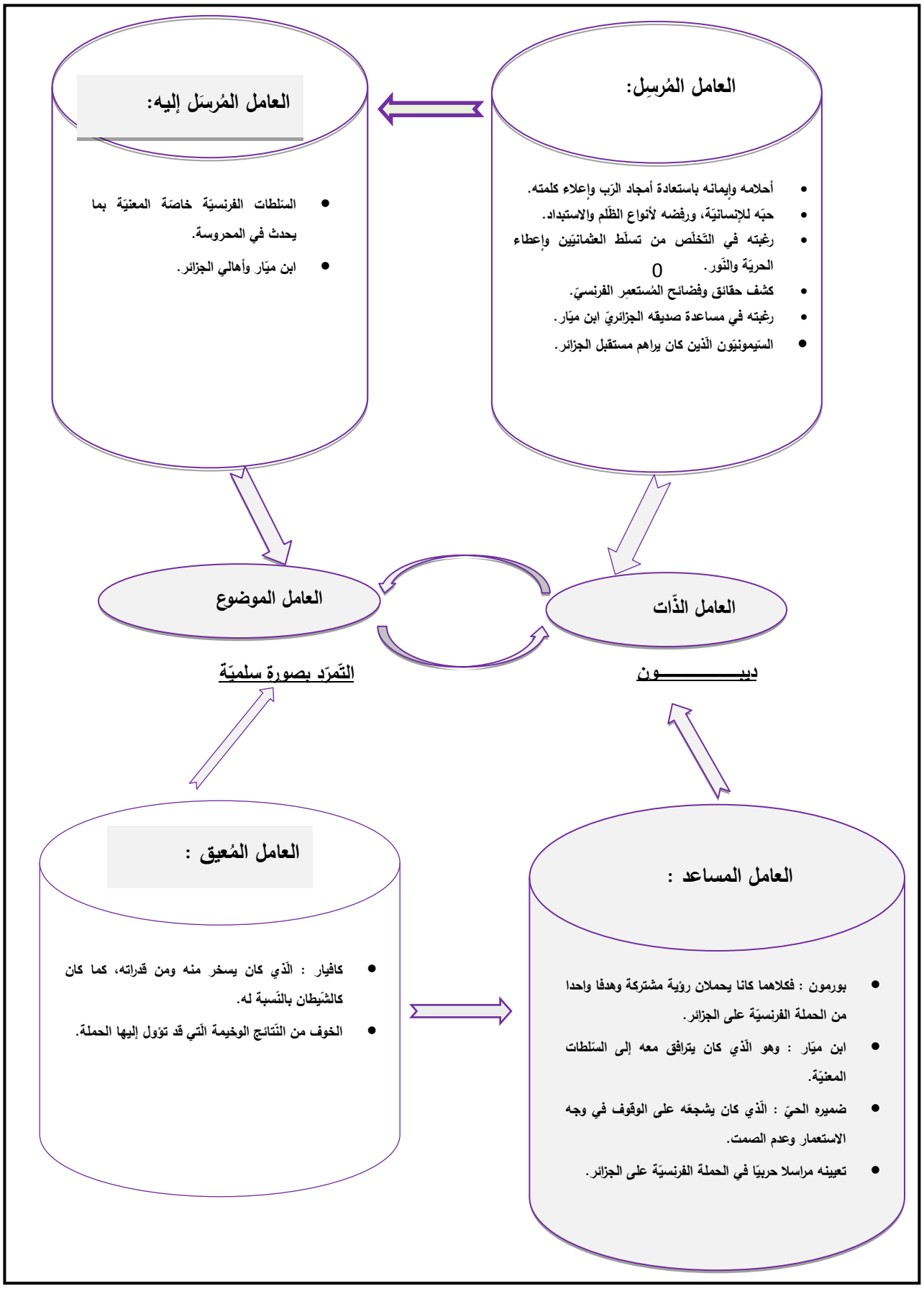

المربع السّيميائيّ (النّموذج العاملي) لصورة التّمرّد عند ديبون.

I-2- المطلب الثانيّ : شخصيّة ابن ميّار

ابن ميّار اسم لمواطن من الأهالي، والميّار وفق ما جاء به لسان العرب: «**الطّعام ونحوه ممّا يُجلب للبيع**»[1]، والميرة في معجم الوسيط هي: «**طعام يُجلب للسّفر ونحوه**»[2]. وبالتّالي الميّار اسم يلقب به المسؤول عن جلب الميرة التي نعني بها في اللغة العربيّة: المؤونة والأكل، والبضائع، لنستنتج بذلك أنّ ابن ميّار هو أحد التّجار الكبار، ويؤكّد ذلك قوله: «**حتّى أنّ لديّ أراضٍ كبيرة**»[3]. ينتمي إلى طبقة المور الّذين كانوا يعيشون في الجزائر، كما أنّه كان يعمل كمستشار للباشا أنذاك، هكذا عرّفه ديبون حين قال: «**قدّم ابن ميّار نفسه كمستشار للباشا، وكان من أعيان المور**»[4].

ليس هذا فحسب إنّما كان من المقرّبين منه، يأخذ برأيه في أمور السّياسة، بقوله: «**اعتاد الباشا استشارتي**»[5]؛ وهذا يدّل على تفقّه ابن ميّار في الحكم وأمور إدارة الدّولة، وإخلاصه وحبه وتقديره للباشا، فكان يثني عليه بقوله: «**الباشا كان دائما كريمًا معنا**»[6]؛ وهذا يعني قبول ومساندة ابن ميّار للحكم العثمانيّ بالجزائر، عكس صديقه السّلاويّ الذي كان يرفض الوجود العثمانيّ، أيضا حبّ و وفاء ابن ميّار للحاكم جعل الأخير يثق به ويعيّنه رسولا له إلى الفرنسيّين، حيث قال له: «**أريدك يا بن ميّار في المعسكر من يوم الغد، ستكون الرّسول بيني وبينهم**»[7]؛ ذلك أنّ الباشا كان يرى في ابن ميّار الرّجل المناسب الحذق، القادر على الوقوف في وجه المُستعمِر ومطالبته بالحقّ، أو مقابلته بالرّفض.

1- ابن منظور، المرجع السابق، ص4306.
2- إبراهيم نيس، عبد الحليم منتصر، عطيّة صوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة-مصر، ط4، 2004م، ص893.
3- عبد الوهاب عيساوي، المرجع السابق، ص58.
4- المرجع نفسه، ص257.
5- م.ن، ص129.
6- م.ن، ص58.
7- م.ن، ص139.

كما كان من رجال الدّين، حيث يقول عن حياته الرّبانيّة: «**قمت فتوضأت ثمّ صليت ودعوت الله طويلا أن تنجح رحلتي**»[1]، حتى أنّه كان يؤمن بالوجود الإلهي معه دائما، «**الله حاضر دومًا معنا حتّى في زخرفتنا، كأنّنا نستغفره على تلك الأخطاء الّتي نبيح لأنفسنا اقترافها، فنحتفي باسمه على الدّوام، ونجعل اسم النّبيّ الكريم أيقونة بخطوط مختلفة نعلقها في بيوتنا ومساجدنا**»[2]؛ فابن ميّار إذًا متمسك بإيمانه وعقيدته رغم كلّ السّياسات والمواقف الّتي اتخذها الاستعمار لمحو هويّة الشّعب الجزائريّ.

ابن ميّار كغيره من سكّان الجزائر أو كما يسمّيها هو "المحروسة"، رفض وجود الاستعمار الفرنسيّ بالأراضي الجزائريّة، فقام يعبر عن رفضه وعدم تقبّله لأيّ كيان أجنبيّ بأسلوب سلميّ، من خلال كتابته لعرائض وشكاوى يعبّر فيها عن اعتراضه لسياسة المستعمِر الظّالمة، الّتي يقوم بها في حقّ الأرض وأصحابها.

ولعلّ من أبرز القضايا الّتي كتب فيها عرائض هي حقيقة نهب مقابر الجزائريّين بحثا عن عظامهم، لجمعها وتصديرها إلى فرنسا، وهي نفسها الحقيقة التي كشفها صديقه ديبون من قبل حين حلت باخرة "بون جوزفين" بميناء طولون آتية من الجزائر تحمل عظاما بشريّة؛ حيث يقول فيما يخصّ هذه القضيّة: «**أخاف أن أطلّ على المقابر فأرى أولئك المالطيّين ينبشون المقابر ويسحبون أكياس العظام**»[3]، ثمّ يواصل حديثه عن هذه الفضيحة ويقول: «**يعبرون الباب الغربيّ للمدينة، وينزلون المنحدرات إلى مقابرنا، ثمّ تجرؤوا وصاروا يغزون مقابرنا نهارا، يفتّشون عمّا تبقّى من عظام أطفالنا وشيوخنا، ويحملونها في أكياس إلى الميناء**»[4]، فابن ميّار لم يسكت عن هذه المؤامرة، ولم يخف من كشف دنائس المُستعمِر في في عرائضه.

1- المرجع السابق، ص275.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- م.ن، ص54.
4- م.ن، ص51.

هذه العرائض أيضا كانت تحمل في مضمونها صورا عاكسة للواقع المعاش في المحروسة من قمع واستبداد ونهب وخيانة لشروط معاهدة الاستسلام، حيث يقول ابن ميّار حول هذا الموضوع: «**طفقت أبعثر العرائض حولي، شكايات أهالي المحروسة تتحول أمامي إلى حقيقة، نساء يُرِدنَ استعادة رجالهنّ من الأتراك الّذين رحلوا، وأطفال يريدون آباءهم، وتجّار أُخِذَت ضياعهم ومتاجرهم، وشيوخ المساجد يبكون حال أوقاف آلت إلى غير وجهتها**»[1]. ثمّ كان يقدّمها للسّلطات الفرنسيّة المعنيّة دون ملل، عسى أن يجد منهم حاكما واعيا وضميرا حيًّا، إذ يصف محاولاته قائلا: «**لم أترك نداءً لم أناده، ولا وزيرًا لم أرسل إليه شكايتي، حتّى أعدائي كنت أشكوهم لأنفسهم لعلّ الضّمائر تحيا، غير أنّهم لا يعقلون**»[2]، ويقول في مكان آخر من الرّواية: «**كتبت مئات العرائض أشكوهم إلى الدّوق**»[3]، إذًا مستشار الباشا كان أيضا بمثابة النّاطق الرّسميّ باسم الجزائريّين.

كما كان يمثّل صوت أهالي المحروسة، خاصة وأنّهم يصرّون عليه بمواصلة عمله هذا، وهم أنفسهم من اتّهموه من قبل بالعمل لصالح فرنسا، حين كان عضوا في المجلس البلديّ، والتّعاون مع المحتل، «**الّذين يلحّون عليك بمواصلة الكتابة وهم من اتّهمك في البداية بالعمالة للفرنسيّين، حين كنت عضوًا في مجلس البلديّة، ثمّ سعدوا وهم يرونك مطردًا منه**»[4]. اندفاع ابن ميّار للكتابة جعله لا يكلّ ولا يملّ أبدا من المحاولة رغم الصّدّ الّذي كان يتلقّاه دائما من قبل الحكومة الفرنسيّة بالجزائر.

وبعد مرور زمن طويل من المحاولات المتكرّرة يقول: «**منذ ثلاث سنوات وأنا أدوّن العرائض وأرسلها دون فائدة**»[5]، حيث كان يقدّم شكواه لكلّ حاكمٍ جديدٍ يُنصّب بداية بـ (بورمون)، أملا من وجود من يسمعها أو يأخذها بعين الاعتبار، وهو ما تزّجاه من الحاكم

1- المرجع السابق، ص133.
2- المرجع نفسه، ص48.
3- م.ن، ص51.
4- م.ن، ص49.
5- م.ن، ص51.

الجديد حين قدّم له عرائضه: «**هذه العرائض بها كلّ التّفاصيل، سأتركها بين أيديكم آملا أن يحرّككم شرف هذه الأمّة الّتي قامت بالثّورة من أجل الحريّة والمساواة والأخوّة**»[1].

إنّ محاولات هذا الموريّ تكشف لنا جانبا من شخصيّته؛ فهو يتمتع بالإصرار على الوصول إلى ما يسعى إليه، وعناده الشّديد في ذلك، ظنّا منه أنّ هذه العرائض الّتي يحملها وينادي بها كلّ يوم هي من ستكشف الحقيقة وتعيد مجد الجزائر، الأمر الذي خاطب به نفسه: «**لكنّك تظّل تعتقد أنّك بعرائضك ستعيد المجد لهذه المدينة بعد رحيل بني عثمان**»[2]، إيمان ابن ميّار بإعادة مجد المحروسة نابع من إيمانه بأنّ هذه الأرض لن تكون لأحد إلّا لأهلها، وهو ما أجزمه للضّابط: «**لن تكون المحروسة إلّا لنا نحن أهلها**»[3]، وأنّ المستعمِر مهما قتّل وسيّس وفرنس ونصّر واستوطن وصادر أراضٍ، فلن يخيف أهالي المحروسة ولن يركعوا له، يقول: «**بالنّار لا تستطيع تغيير إيمان النّاس، قد يشتبهون بك زمنا طويلا، ولكن قلوبهم ستظّل معلّقة بالشّرق**»[4]، وهو اليقين الذي كان يصرخ به ابن ميّار بأعلى صوت.

كما كان عناد وعزيمة ابن ميّار وراءهما أحلام يسعى لتحقيقها، فدائما ما كان يحلم بغدٍ مختلفٍ تعود فيه المحروسة إلى أهلها، فيقول: «**أحلم بغدٍ مختلفٍ لا أسمع فيه رطانتهم**»[5]؛ غد يعود فيه كلّ شيءٍ كما كان بعودة بني عثمان للجزائر، وعودة المحروسة إلى أيّام صباها، وهو ما كان يؤمن به أيضا بقوله: «**آمنت بأنّ العثمانيّين سيعودون**»[6]، نتيجة لاشتياقه لهم ورغبته فيهم، حيث صرّح قائلا: «**يُعيدني الحنين إلى زمن بني عثمان**»[7].

1- المرجع السابق، ص60.
2- المرجع نفسه، ص49.
3- م.ن، ص128.
4- م.ن، ص346.
5- م.ن، ص133.
6- م.ن، ص49.
7- م.ن، ص51.

الّذي يمكن أن نتوصّل إليه ممّا سبق سرده وتحليله أنّ ابن ميّار كان يملك روحًا إيجابيّةً مليئة بالتّفاؤل والأمل في استعادة الأرض من مستعمريها الفرنسيّين، الّذين كانوا يظنّون عكس ذلك، إذ يقول عنهم وعن نفسه: «**كانوا يعتقدون أنّهم لن يعيدوا لنا شيئًا، وظللت أنا متشبثا بتفاؤلي**»[1]، تشبثا شديدًا قولًا وفعلًا.

كما أنّ ابن ميّار يملك روحًا مسالمةً، الأمر الذي نفسّر به كفاحه في وجه المُستعمِر بطريقة سلميّة، فقد كان كصديقه ديبون يسعى إلى إعلاء مبادئ السّلام، وترسيخها في المجتمع الواحد وعلى أرض واحدة بين أجناس مختلفة، وهو ما أصّر عليه ونادى به منذ بادئ الأمر في معاهدة الاستسلام الّتي أقامها مع الفرنسيّين؛ حيث يقول عن ذلك: «**أصررت ألّا تحوي المعاهدة على بند طرد أحدٍ من المدينة، بل سيعيش فيها الجميع بسلام، المغاربة وبنو عثمان وحتّى اليهود**»[2]، الّذين خانوا الأرض الّتي حَوَتهم وأمّنت لهم كلّ شيء في عهد العثمانيّين.

الأمر الّذي جعل ابن ميّار لا يثق بهم، فيقول: «**لم أعد أثق بهؤلاء النّاس، كانوا يقاسموننا الخبز والملح ثمّ فجأة بعد دخول الفرنسيّين بدأوا يهتفون لهم**»[3]، وهنا أيضا نكتشف جانبا آخر من شخصيّة ابن ميّار؛ أنّه رجل سويّ يكره الخداع والخيانة والأشدّ من ذلك الذّل وبيع الوطن، خاصة وإن كان البائع ابن وطنه وأرضه، يقول: «**لم يُغظني أن يأخذ الفرنسيّ ضياعي بقدر ما آلمني أن يُضيّع أحد أهالي المحروسة نفسه في خدمتهم**»[4]، وكان يقصد بهذا القول صديقه تاجر القمح "ميمون" الّذي «**حرص على أفضل البيوت لمقام ضبّاطهم، وأفضل المساجد كي يحوّلونها إلى مخازن وثكنات**»[5]؛ فهو يرى أنّه من العيب والعار أن يُطأطأ الإنسان رأسه لعدوه وجلّاده من أجل المال.

1- المرجع السابق، ص25.
2- المرجع نفسه، ص57.
3- م.ن، ص53.
4- م.ن ص283.
5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ليكون ابن ميّار بذلك مثالا للرّجل الشّجاع والمكافح، الّذي لا يهاب عدوًّا، ولا يغرّه طمع بمالٍ أو جاهٍ أو منصبٍ.

ورغم كفاحه وما شُهِد عليه من نضال إلّا أنّه كان ذا حسّ مرهفٍ، فأحيانًا تجده يشعر بالحزن والأسى على ما حلّ بالمحروسة وما ضاع فيها من حقوق وممتلكات؛ حيث يقول متأسّفًا: «**لم يكن همّي على ما فقدت من ضِياعٍ، بقدر ما كنت حزينًا على المساجد والأوقاف الّتي أُخِذت عندما حلّ بورمون ومن بعده كلوزيل***، **ومضت سنوات ثلاث لم نستطع استرجاع أيّ منها**»[1]، وأحيانًا أخرى لا يتّسع قلبه لكلّ هذا الحزن والألم فتخونه دموعه وتفضحه؛ حيث يروي ويقول: «**لا أدري ما الّذي انتابني حاولت إخفاء دموعي لكنّها طَفَرت**»[2]. وأنّه لمن الصّعب أن تجد رجلًا يحمل كلّ هذه الصّفات بين الرّقة واللّين والصّلابة في نفس الوقت.

أمّا عن علاقة ابن ميّار بالحكومة الفرنسيّة وتحديدا ضبّاطها وقناصلها الّذين تهافتوا على الجزائر، فيمكن تحديدها من خلال ما جاء على لسان الشّخصيّة في الرّواية أنّ ابن ميّار كان يمقتهم ويمقت مكرهم ودهاءهم خاصّة كافيار الّذي جمعته به مواقف عدّة انتهت كلّها بطرد الأوّل من مجلس الثّانيّ.

حيث تذكر الشّخصيّة أنّ كافيار سلبها ضيعته الّتي يمتلكها وعاث فيها فسادًا وخرابًا، «**أعجب من قدرة هؤلاء على تغيير وجوههم، في الأيّام الأولى لوصوله طلب اكتراء ضيعتي، وأُرغِمت على موافقته، وحين طالبته بالأجر بعد شهرين ضجّ في وجهي وطردني**»[3]، تعامل كافيار مع صاحب الضّيعة، نفسّره بكرهه للعثمانيّين والموريّين والرّغبة في الانتقام منهم، وابن ميّار من هؤلاء.

1- المرجع السابق، ص276.

*- كلوزيل: الكونت كلوزيل هو ضابط فرنسي، شارك في الثورة الفرنسية ضد ملكية يوليو وفي حرب الاستقلال الاسبانية، وفي احتلال الجزائر، الذي صار حاكما عاما لها فيما بعد، خلفا للجنرال دي بورمون.

*- ينظر الموقع: /برتران_كلوزيل https://areq.net/m. تاريخ الدخول: 06/ 06/ 2022م. ساعة الدخول: 05سا: 30د صباحا.

2- عبد الوهاب عيساوي، المرجع السابق، ص208.

3- المرجع نفسه، ص50.

كما كانت كلّ تحرّكات كافيار تسعى إلى تثبيط سعي ابن ميّار والوقوف في وجهه وفي كلّ ما يخطّط له، إلّا أنّه لم يستسلم ولم يبدِ أيّ خوف منه؛ حيث يقول: «**لم يثنِ كافيار من عزيمتي**»[1]، كما يقول في اجتماعهما باللّجنة الإفريقيّة: «**كان كافيار يجلس إلى جانبهم لكنّني لم أنحنِ له ولم أبدِ له ضعفًا**»[2]. هنا يتبيّن أنّ ابن ميّار عازم ولن يقف في وجهه كافيار أو من كان أقوى منه.

أمّا روفيغو فكان يكنّ الحقد والكراهيّة له، ويقول: «**لم أكن لأقدّر رجلًا قتل نصف أهلي و شرّد الباقين**»، فاضطهاد هذا الضّابط للجزائريّين جعل الأهالي يرفضونه وينبذونه.

كما كان ابن ميّار يرى أنّ القنصل دوفال*صاحب واقعة المروحة هو من جنى على نفسه ردّة فعل الباشا؛ حيث أنّ «**الكلّ كان يعرف القنصل، حتّى من الفرنسيّين يجمعون على وقاحته وسوء طبعه**»[3].

ولعلّ أكثر قائد فرنسيّ كان مقربا من ابن ميّار هو القائد بورمون، حيث يقول: «**كنت مقربا من القائد العامّ بورمون**»[4]، ذلك أنّه كان يراه أقلّ وحشيّة وظلمًا من الّذين حكموا بعده، فيقول: «**ربّما بورمون أقلّهم سوءًا**»[5]، لأنّ هدفه الأوّل من قيادته للحملة الفرنسيّة على الجزائر لم يكن بغرض النّهب والظّلم والاستعمار كما فعل من تلاه من القادة، إنّما كان لأجل تخليص أهاليها من سلطة العثمانيّين.

إنّ كره وحقد ابن ميّار على السّلطات الفرنسيّة جرّاء ما كانت تقوم بفعله، لا يعني حقده وكرهه على كلّ ما هو فرنسيّ، حيث نجده يثني على اكتشافات الفرنسيّين، ولم ينكر أنّهم

1- المرجع السابق، ص345.
2- المرجع نفسه، ص354.
*- دوفال: الذي عُرف بمخطط بيار دوفال 1819م، عمل كقنصل عام بالجزائر، أقنع بلاده بإرسال حملة عسكرية للسيطرة عليها واستعمارها.
*- محجوبي زهرة، المخططات العسكريّة الفرنسية لاحتلال الجزائر (1741م- 1830م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد رقم04، العدد رقم01، جانفي2020م، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري للجزائر، الجزائر، ص93.
3- عبد الوهاب عيساوي، المرجع السابق، ص131.
4- المرجع نفسه، ص205.
5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فاقوا المشارقة ثقافة فيقول في هذا الصّدد: «**كانوا أكثر ميلًا منّا للاكتشاف**»[1]، ثمّ يواصل انبهاره بهم ويقول: «**يعرف أولئك الفرنسيّون كيف يحتفون بثقافتهم**»[2]، وفي نفس الوقت يتحسّر على إضاعة العرب لمجدٍ عظيمٍ من التّاريخ والحضارة، ويعترف بـ: «**أنّنا كنّا مفرطين في كتبنا وتاريخنا وكلّ شيءٍ يتعلّق بثقافتنا**»[3].

وهنا يتّضح أنّ ابن ميّار لم يكن فقط تاجرا في أرض المحروسة ولا رجلًا سياسيًّا بجوار الباشا، ولا مناضلًا في سبيل استعادة الحريّة المسلوبة، إنّما أيضا رجل مفكّر يسعى للارتقاء والنّهوض بالأمة ومسابقة أوروبا والغرب في بناء صرح حضاريّ.

كلّ مطالب ابن ميّار الّتي بلورها في شكل عرائض ومحاولاته العديدة على مرّ سنوات طوال، قد قوبلت بالرّفض، فرأى أنّ ما يقوم به في الجزائر لم يعد يجدي نفعا، وهو ما كان متيقّنا منه صديقه "حمّه السّلاّويّ" منذ البداية، حين أخبره بأنّ: «**هؤلاء القادة الّذين يحكمون المحروسة لا رجاء منهم**»[4]، وبعد زيارته الأخيرة لقبر "سيدي عبد الرحمن الثّعالبي"*– الّذي كان «**رجلا صالحا زاهدا عالما عارفا وليّا من أكابر العلماء**»[5] – آنذاك، أُوحيَ له بمغادرة المحروسة إلى فرنسا، ومطالبة السّلطات الفرنسيّة العليا هناك، وتقصيّ الجرائم الّتي يفتعلها أبناؤهم بالمحروسة.

وبالفعل حمل ابن ميّار عرائضه وسافر إلى فرنسا، على أمل أن يلتقي بملك فرنسا آنذاك ليقدّم له ما جاء لأجله، وكان لابن ميّار ما أراد، حيث التقى برجل عجوز يمثّل الملك

1- المرجع السابق، ص206.
2- المرجع نفسه، ص285.
3- الرجع نفسه، الصفحة نفسها.
4- م.ن، ص61.
*- سيدي عبد الرحمان الثعالبي: يعدّ رمز الجزائر العاصمة وبركتها في المخيلة الشعبية.
*- ينظر الموقع: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/126824. تاريخ الدخول: 01/ 06/ 2022م. ساعة الدخول: 22سا: 34د.
5- زايدي كريم، الإمام الثعالبي ومنهجه في تعامله مع القراءات في تفسيره "الجواهر الحسان" "- نماذج منتخبة-"، مجلة البحوث والدراسات، المجلد رقم15، العدد01، جانفي2018م، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، الجزائر، ص11.

وعرض عليه كلّ عرائضه، وقال له: «**إنّك يا سيّدي لن تجد مرآة تعكس الحقيقة مثلما تعكسها هذه العريضة بين يديك، كلّ رجائي أن تسلّمها إلى الملك**»[1].

لم يكتفِ ابن ميّار بإيصال صوت الأهالي إلى ملك فرنسا، بل قام أيضا بتأليف كتاب يحمل تفاصيل ما يجري بالمحروسة، ونشره في فرنسا، أو هذا ما وعده به صديقه القنصل، فهو يريد بذلك أن تسمع فرنسا شعبًا وحكومةً ما يفعله جنودها بالمحروسة، حتّى يلقوا ردعًا، الأمل نفسه الّذي أعطاه إيّاه ممثّل الملك بقوله: «**إن كان ما كُتِب في العريضة صحيحا فلن نسكت عن الأمر**»، كلام العجوز طمأن ابن ميّار وجعله متفائلًا ومفتخرًا بتحقيق ما أراده من رحلته، حيث قال: « **كنت متفائلًا أن تنجلي**»[2].

إنّ كلّ ما فعله هذا الرّجل في سبيل وقف وطرد المُستعمِر الفرنسيّ دلالة على شدّة تعلّقه بالمحروسة وحبّه لها، كيف لا وهي الّتي لا تفارق مخيّلته حقيقة وخيالًا؛ حيث يقول: «**كانت المحروسة تستيقظ فيّ كلّ حين**»[3]، ففي كلّ غمضة جفن تعود به الذّاكرة إليها.

تَعطُّش ابن ميّار لكشف حقيقة الاستعمار واستعادة الأرض جعلته ينتظر وصول اللّجنة على أحرّ من الجمر طيلة الثّلاثة أشهر، ليأتي اليوم الموعود الّذي أُستدعِي فيه للمجلس حتّى يُستمَع له ولكلّ عرائضه الّتي كانت تحمل صرخات وآهات الأهالي، لكن ما حدث في المجلس أحرق ابن ميّار، وأُحرِقَت كلّ آماله وأحلامه معه.

وبعد قرابة شهرٍ أصدرت السّلطات الفرنسيّة قرارًا مضمونه نفي ابن ميّار وزوجته إلى إسطنبول، ليودّع بذلك المحروسة وأهلها، ويترك وراءه صديقه ديبون، وحمّه السّلاّويّ الّذي كانت تربطه به علاقة قويّة؛ حيث يقول: «**كان أقرب النّاس إلى نفسي، مثلما كنت أكثر من والد بالنّسبة له**»[4]، ودوجة الّتي أراد إقناعها بالرّحيل معهم، بقوله: «**هل ترافقينا يا**

1- عبد الوهاب عيساوي، المرجع السابق، ص286.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- م.ن، ص207.
4- م.ن، ص129.

دوجة إلى منفانا ؟ إسطنبول مدينة جميلة، ستهبك حياة مختلفة»[1]، وهو الّذي أمّن لها حياة مختلفة بالمحروسة حين حماها وخبّأها من أطماع ذئاب اللّيل في بيته.

كلّ آمال وأحلام ابن ميّار نفيت معه إلى إسطنبول، لتبقى المحروسة في انتظار ميلاد ابن ميّار آخر.

وكسابقتها نجمل صورة التّمرّد بمختلف دلالاتها في شخصيّة ابن ميّار في المربّع السّيميائيّ التّالي:

1- المرجع السابق، ص356.

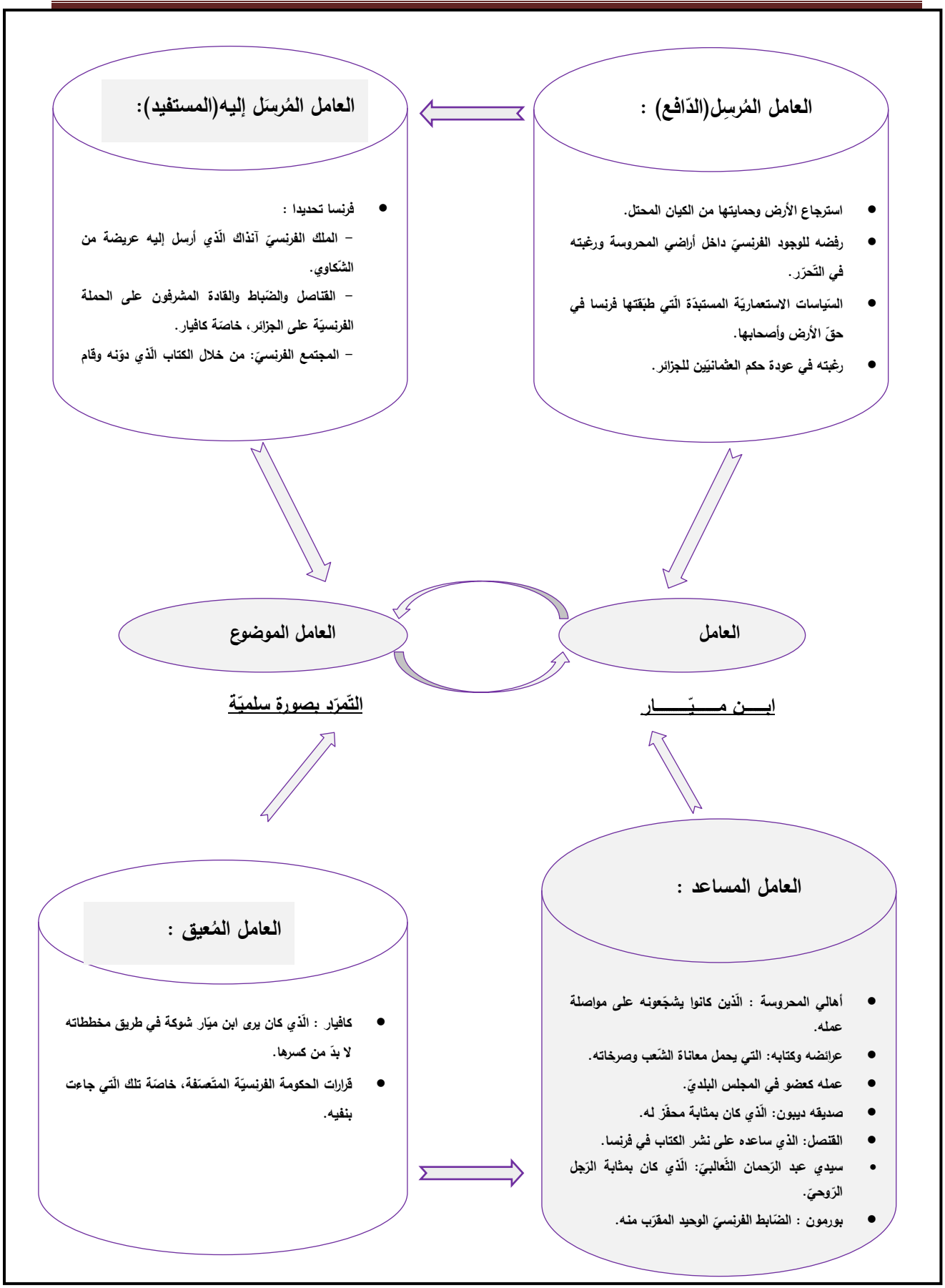

المربع السّيميائيّ (النّموذج العالميّ) لصورة التّمرّد عند " ابـن مـيّـار "

مختتم

بعد أن تقصّى هذا الفصل كلّ من الشّخصيّة الفرنسيّة "ديبون" والشّخصيّة الجزائريّة "ابن ميّار". وجدنا أنّ الشّخصيّتين تتّفقان في أوجه كما تختلفان في أوجه.

بالنّسبة لأوجه الاتّفاق تتمثّل في:

1- يتّفق كلّ منهما في التّمرّد السّلميّ، والكفاح السّياسيّ في وجه العدّو المبنيّ على الحوار.
2- هدفهما واحد؛ وهو الرّفض التّام للاستعمار وقوانينه المتعسّفة لكن بطرق سلميّة.
3- كلّ منهما كان يحمل إيمانا قويّا داخله ويقينا بتحقيق ما يسعى إليه.
4- كلاهما كان لديه وعي تامّ بحجم العواقب وما ستؤول إليه نتائج الحملة الفرنسيّة على الجزائر.
5- يتّفقان في رفض ما تقوم به الحكومة الفرنسيّة من سياسات استعماريّة في المحروسة.
6- كلاهما كان له أمل في تحسين الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة في الجزائر.
7- كلّ منهما على درجة عالية من الثّقافة والوعي.
8- كلّ منهما لم يكن ينكر جهود غيره؛ فديبون لم ينكر فضل الإنجليز، وابن ميّار لم ينكر فضل الفرنسيّين.
9- يهدف كلّ منهما إلى تقريب وجهات النّظر بين الجزائر وفرنسا حكومة وشعبا والحفاظ على أرواح الأبرياء.
10- يسعى كلّ منهما تحقيق الأمن والسّلم وتحقيق العدالة الاجتماعيّة التي تفرضها كلّ الدّيانات السّماويّة.

أمّا عن أوجه الاختلاف بينهما فكان أبرزها:

1- ديبون صُحُفيّ فرنسيّ ومراسل حربيّ، بينما ابن ميّار مواطن جزائريّ يعمل عضوًا في المجلس البلديّ.
2- ديبون يمثّل صوت الإنسانيّة والضّمير الحيّ، وابن ميّار يمثّل صوت الجزائريّين أهالي المحروسة.
3- ديبون مسيحيّ الدّيانة، يُقدّس الرّبّ والعذراء، لكن ابن ميّار رجل مسلم متديّن، يؤمن بالله الواحد.

II- الفصل الثّاني: صورة التّمرّد في شخصيّتي

كافيار وحمّه السّلاويّ

II-1- شخصيّة كافيار

II- 2- شخصيّة حمّة السّلاّويّ

مفتتح

تُعدّ الشّخصيّة من أهمّ عناصر العمل الرّوائيّ لما لها من أهمّيّة بالغة في سرد الأحداث، وبتتبّع شخصيّات رواية الدّيوان الإسبرطيّ الرّئيسة نجد من بينها "كافيار" الذي كان يمثّل القوّة الفرنسيّة المتعصّبة، وكان يحلم بتأسيس جمهوريّة فرنسيّة بدل المملكة، وقد أعلنت بالفعل عن نفسها جمهوريّة تنادي بالمساواة والأخوّة والعدالة الاجتماعيّة في مظهرها الخارجيّ، و"حمّة السّلاّويّ" الذي كان يمثّل الوسط الشّعبيّ الجزائريّ المتمرّد الثّائر الذي يغار على وطنه، وكان يرغب في إقامة دولة جزائريّة مستقلّة عن الهيمنة الاستعماريّة.

في هذا الفصل سنقوم بدراسة هاتين الشّخصيّتين، وسنركّز دراستنا على المظاهر الخارجيّة والدّاخليّة بما في ذلك الأبعاد والدّلالات المادّيّة والمعنويّة وحتّى النّفسيّة لنجد أنّهما يلتقيان في مجموعة من المواصفات ويختلفان في أخرى، موضّحين علاقة "دوجة" التي تمثّل صورة الجزائر المغتصبة بكلّ شخصيّة منهما ودورها في بناء وتنامي الشّخصيّات محلّ الدّراسة.

لنصل في الأخير إلى صورة التّمرّد عند كليهما بمختلف الدّلالات التي تحملها، رغم تباين مواقفهما وسنبدأ بدراسة شخصيّة "كافيار" تليها شخصيّة "السّلاّويّ".

II-1-المطلب الأوّل: شخصيّة كافيار

كافيار "Caviar" ضابط فرنسيّ، متعصّب لوطنه، يمثّل صوت العسكريّين الفرنسيّين الغاصبين، وهو أحد قادة عمليّة احتلال الجزائر، ويُحيل إلى شخصيّة حقيقيّة، وقد كانت هذه الشّخصيّة أسيرة في الجزائر مدة أربع سنوات، من مهندسيّ خطّة الاحتلال «**نائب قائد الهندسة المدنيّة بالحكومة الفرنسيّة بالجزائر وصديق الدّوق** "روفيغو" **حاكم الجزائر، ووزير في حكومة** "نابليون" **وأحد جنوده الذين هُزموا في معركة** "واترلو" **على يد الإنجليز، وأسير سابق لدى الأتراك في المعركة نفسها، ممّا أورثه عاطفة حقد لا متناهٍ تجاه الأتراك والجزائريّين، كما أنّه حامل سيف الانتقام منهم**»[1].

لم يصفه الكاتب وصفا مادّيا إلاّ في نهاية الرّواية حين تعرّض لحادثة قطع أصبعه، له رغبة قويّة في احتلال الجزائر، فيقول: «**بهذه الطّريقة فقط استطاع الأتراك إحكام قبضتهم على الجزائر قرونا ثلاثة، وبهذه الطّريقة أيضا يمكننا إخضاع المدينة لنا بعد احتلالها**»[2]؛ فقد خطّط كافيار للحملة على الجزائر، بعد خروج الأتراك منها وتسليمها للفرنسيّين بعد موقعة المروحة الشّهيرة «**وبمناسبة عيد الأضحى الذي صادف 29 أفريل 1827م، وقعت حادثة المروحة المشهورة. فقد حضر القناصل الأجانب، ومن بينهم دوفال، لتهنئة الباشا التّركيّ، ودار الحديث بين الباشا والقنصل الفرنسيّ حول ردّ فرنسا على طلبه. فكان ردّ القنصل مُهينا للباشا. وقد تطوّر الحديث فاتّهم الباشا القنصل بأنّه كان السّبب في عدم وصول الرّد إليه مباشرة. وأمره بالخروج، وعندما لم يتحرّك ضربه بالمروحة التي كانت بيده**»[3]؛ فكافيار كان صديقا مقرّبا للقنصل "دوفال" ممّا جعله في مراكز مهمّة في الحكومة الفرنسيّة، بالإضافة إلى مركزه الاجتماعيّ النّبيل.

1- ينظر، محمّد الأمين بحريّ، المرجع السّابق.

2- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق، ص262.

3- ينظر، أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص24.

يرمز للسّيطرة التي غرسها نابليون في جنده؛ لأنّ كافيار كان نائبا لقائد الهندسة المدنيّة في جيشه، فها هو صديقه الدّوق روفيغو يخاطبه بهذه الصّفة قائلا له: «**لا أراسلك بوصفك نائبا لقائد الهندسة المدنيّة، بل بما أعرفه من تاريخك المثير في مدينة الجزائر**»[1]؛ فقد تمتّع كافيار بمكانة مهمّة في الجيش الفرنسيّ ممّا جعله يبدو أكثر قوّةً وقساوةً، كما كانت له صولات وجولات وتاريخ حافل بالبطولات في الجزائر.

يبغض الأتراك المحمّديّين كما يحلو له تسميتهم، ويرى أنّهم أعداءً لكلّ الشّعوب بما فيهم الإسبان أثناء تواجدهم بالجزائر، لأنّهم كانوا يرغبون بالسّيطرة على شمال إفريقيا؛ فيقول عن ذلك: «**ألف الصّيّادون تلك الجهة، كانوا يُدركون أنّها أكثر ثراءً بالسّمك، وربّما أقلّ خطرًا، فالعداء القديم الذي يكنّه الإسبان للأتراك المحمّديّن كان كفيلا بمنعهم من الاقتراب من هناك**»[2]؛ فمن خلال هاته العبارة يتّضح كم العداء الشّديد الذي كان يكنّه كافيار لبني عثمان، بل وكثيرًا ما كان يتّهم صديقه "ديبون" بالسّعي لعودة العثمانيّين إلى الجزائر، يقول ديبون: «**كلّ الضّبّاط الذين التقيتهم اتّهموني بالسّعي لعودة العثمانيّين، ولم أكن لأنكر ولا أوافقهم، أحاول فقط جرّهم إلى المقارنة فيخيب أملهم، وينهون الحوار بالتّهمة، وكافيار كان أسرعهم إلى ذلك**»[3]؛ يتّضح جليّا من هذه العبارة أنّ طريقة تفكير ديبون تختلف تماما عن طريقة تفكيره؛ وهو ما أدّى إلى انفصالهما فيما بعد، ومن خلال هذه العبارة أيضّا يتّضح أنّ كافيار كان ضابطا في جيش نابليون بونابارت، برتبة قائد الكتيبة؛ فبعد أن هُزم في معركة واترلو «**وهي معركة فاصلة وقعت في 18 يونيو جوان عام 1815م في واترلو قرب بروكسل عاصمة بلجيكا، وهي آخر معارك الإمبراطور الفرنسيّ نابليون بونابرت، وهُزم بها**

1- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق، ص36.

2- المرجع نفسه، ص38.

3- م.ن، ص51.

هزيمة نكراء غير متوقّعة لقائد عظيم مثله، ممّا جعل الإنجليز يصفونه بالشّخص سيّء الحظّ لأنّه صادف واترلو»[1]. وبعد هزيمته في معركة واترلو غدا أسيرا لدى الأتراك.

ويضيف كافيار في حديثه عن هزيمته في واترلو رفقة القائد نابليون وهذه أيضا من بين أهمّ أسباب حقده الشّديد عليهم، فيقول: «**وأنا الذي ذقت من الهزائم ما يكفيني، واترلو قصمت ظهري، ثمّ أسرني الأتراك متقزّزين منّي، صيّروني عبدا وقد كنت قائدا في كتيبتي**»[2]؛ ممّا أدّى إلى تمرّده وثورته على الأتراك، كما يُعامِل الجزائريّين الضّعفاء بتسلّط واحتقار، يقول عنه ابن ميّار: «**في الأيّام الأولى لوصوله طلب اكتراء ضيعتي، وأُرغمت على موافقته، وحين طالبته بالأجر بعد شهرين ضجّ في وجهي وطردني، ولا يلقاني إلاّ بعد موعد، وإن أُذن لي، يَسمح لي عمّالي بالمرور، وهم يدركون أنّها ضيعتي، ولكنّهم مثلي مجبرون على الخضوع له**»[3]؛ فهو يُعامِل الجزائريّين باحتقار وقسوة شديدين دون مراعاة لمراكزهم الاجتماعيّة.

وعن قسوته يضيف كافيار على لسان صديقه السّابق قائلا: «**فبالنّسبة لديبون لم تعد هناك جدوى من إراقة الحبر بعدما أُريقت الدّماء، يتمسّك بإصراره على أنّني قاسٍ**»[4]، ويضيف مفتخرا بالوقار الذي يجده لدى الجزائريّين رغم كرههم الشّديد له قائلا: «**يخشاني الفلاّحون أكثر من القنصل، كنت أعرف ما يحملونه تجاهي من كراهية**»[5]؛ هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على تسخير كافيار لسلطته على الفلاّحين البسطاء.

وأمّا السّبب في قساوة قلبه فيعود إلى ظروف هزيمته في واترلو وموت قائده نابليون، بالإضافة إلى أسره وإهانته من طرف الأتراك في المحروسة التي يحبّ أن يطلق عليها اسم "إسبرطة"، يقول ديبون: «**أ أسميتها مثلما يحبّ كافيار إسبرطة لم يبق لي إلاّ خيار قديم يا**

1- ينظر: الموقع https://ar.m.wikipedia.or ، تاريخ الدخول: 24/ 05/ 2022م. ساعة الدخول: 10سا: 00د صباحا.

2- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق، ص31.

3- المرجع نفسه، ص50.

4- م.ن، ص30.

5- م.ن، ص263.

كافيار، أن أعبر المتوسّط إلى مدينة المحروسة أو مثلما تحبّ تسميتها إسبرطة»[1]، ويعود السّبب في تسمية كافيار الجزائر باسم إسبرطة إلى قوتها العسكريّة المتمثّلة في أسطولها البحريّ الذي تملكه؛ فالجزائر كانت تملك أسطولًا بحريًّا ضخما قبل أن يتحطّم.

يقول متحدّثًا عن ظروف أسره: «**انتبهت لنفسي أفكّر كأسير حرب**»[2]، ويواصل وصْف مشاهد الأسر قائلًا: «**كانت القيود تثقل يديّ، يسحبها السّجين الذي يسبقني فأوشك أن أسقط، أُصغي إلى الصّوت الحادّ، ثمّ يدنو الظّلّ منّي، وفجأة أصرخ من حرارة الألم ثمّ يواجهني الحارس التّركيّ يكوّر البَلغم في فمه ويقذفه على وجهي**»[3]، عانى كافيار معاناة شديدة أثناء أسره لدى الأتراك؛ فبعد أن كان أحد قادة جيوش نابليون العظيم، إذ به يغدو بين عشيّة وضحاها أسيرا لدى الأتراك؛ ممّا حرّك في نفسه مشاعر الكره والسّخط والغضب عليهم، وذاق الأمرّين أثناء تعذيبه، ويردف قائلًا: «**يرتفع الباب الخشبيّ عملاقا، ونصطفّ مثل قصب الذُّرة، سار الصّفّ الطّويل مسافة إلى الأمام، تدافعنا تحت ضربات السّياط، والأصوات التي تتعالى من حولنا**»[4]؛ أثّرت هذه الحادثة تأثيرا سلبيّا على نفسيّة كافيار، لم يكتفِ الأتراك بأسره فحسب بل إرغامه على ممارسة الأعمال الشّاقّة أيضا في المحاجر رفقة السّجناء المأسورين.

ويضيف كافيار عن الحادثة: «**لم أستطع المواصلة، أردت رمي الصّخرة لكنّها لم تبتعد كثيرا، وسقطت أمامي، ولم أنتبه أنّني سقطت إلى جانبها، قيل لي بعدها إنّ الصّخرة قد وقعت على أصبعي وهرسَتْه**»[5]، يشمئزّ كافيار ممّا وقع له في أسره وما تكبّده من أنواع التّعذيب، وكيف أهينت كرامته، وكيف جرح كبرياؤه؛ ومن هنا شرع الكاتب في وصف مظهر كافيار الخارجيّ بعد تعرّضه لحادثة فقدان أصبعه قائلا على لسان القنصل دوفال: «**لقد أصبحت أكثر نحافةً وضمورًا، انظر إلى وجهك في المرآة**»[6]، ويعقّب عن ذلك قائلًا: «**وقفت أمام المرآة، كان الوجه نفسه، ثمّ شرعت من دهشتي أنزع عن جسمي الثّياب،**

1- المرجع السّابق، ص22.

2- المرجع نفسه، ص110.

3- م.ن، ص109.

4- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

5- م.ن، ص119-120.

6- م.ن، ص202.

كانت الأضلاع بارزةً، وبطني انحنى إلى الدّاخل»[1]، هذا ويواصل في وصف الحالة التي آل إليها بعد الحادثة: «**في السّنة الأخيرة صرت مثل المجنون لا يتوقّف عن الجري بالخلاء، لا آكل إلاّ القليل، أُدخّن بشراهة، وأسهر ساعات متأخّرة من اللّيل»**[2]؛ كلّ هذه الظّروف مجتمعة ولّدت في نفسه مشاعر الانتقام والثّأر من الأتراك.

كما يريد كافيار إعادة أمجاده الضّائعة بعد وفاة نابليون، والتي – حسب اعتقاده – سلبها منه الأتراك وأحسّ معهم بالعبوديّة، يُحدّث كافيار نفسه قائلا: «**الآن يا كافيار، قد بدأت رحلتك التي قدّرت لك، منذ عودتك من واترلو مهزوما، ثمّ تحمّلت العبوديّة. ولكن أ نسيت يا كافيار أُصبعك التي خلّفتها في محجر الرّخام ؟»**[3]؛ لذلك فهو يُكِنّ كلّ الحبّ والتّقدير لقائده العظيم نابليون ويستمدّ منه القوّة والسّلطة، فيقول مفتخرا بقائده: «**بعد نابليون لم أحسّ بضعفي إلاّ أمام رجلين القنصل السّويديّ وديبون»**[4]، فهو يحسّ بالضّعف والهزيمة حتّى أمام أقرب النّاس إليه أصدقاؤه المقرّبون، فموت نابليون أذلّ كافيار.

يواصل كافيار التّعبير عن إعجابه الشّديد بقائده المبجّل نابليون وتواضعه مع جنوده قائلا: «**لم نفكّر في التّراجع بل كنّا سعداء ونحن نستقبل التّحايا من قائدنا، ظلّ يطوف بين الصّفوف، ويهتف الجنود بحياته، ولو لم يمت مبكّرا لانتظرت انبعاثه من جديد»**[5]؛ فهو يمجّده ويعتبره قدوته ومثله الأعلى: «**ومن يعرف رجلًا مثل نابليون، فلن يضيره البقاء وحيدا بعدها»**[6]، «**ولم يكن نابليون متمتّعًا باحترام رفاقه فحسب، بل كان أيضا حاصلًا على على ثقة معلّميه ويحسن إكرامهم»**[7].

ثمّ يضيف متأسّفًا ومتسائلًا: «**صار مقدّرًا علينا انتظار نابليون آخر. فهل ستلد أوروبا رجلًا مثله ؟!»**[8]، ولكنّه يعود ويتذكّر أنّ نابليون قد مات، وأنّ السّنوات تمرّ دون أن يتحقّق

1- المرجع السّابق، ص202.

2- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

3- م.ن، ص189.

4- م.ن، ص333.

5- م.ن، ص31.

6- م.ن، ص37.

7- ينظر، إلياس أبو شبكة، تاريخ نابليون بونابرت، دار القلم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، (د.ط)، (د.ت)، ص12.

8- عبد الوهّاب عيساوي، المرجع السّابق، ص190.

أيّ شيء يذكر، ويردف قائلًا: «**قد مات الرّجل الذي كان يشعل أحلامك كلّما خمدت**»[1]، ومع ذلك يستيقظ فيه كبرياؤه الذي لا حدود له، ويولّد فيه جنون العظمة من جديد كلّما تذكّر أنّه أُسر من طرف الأتراك المحمّديّين كما يسمّيهم.

يعتبر كافيار نفسه من جنس أفضل من كلّ الأجناس البشريّة الأخرى؛ فيقول مفتخرا بانتمائه الأوروبيّ: «**اعتقدت أنّ الشّعوب الإفريقيّة والعربيّة لا يمكنها تحقيق مصالحها إلاّ بالفرد الأوروبيّ**»[2]، فهو فخور بأنّه أوروبيّ وأنّ له فضل على الجزائريّين وعلى سائر الأجناس الأخرى بما فيهم العرب.

وكثيرا ما كان يراسل صديقه ديبون ليخبره عن حكاياته ومغامراته مع القائد العظيم نابليون، وأنّه ما يزال محتفظا بمكانته لدى الجميع رغم الهزيمة في واترلو: «**لم أُهزم بعد، ما زلت مُقدَّرا من الجميع، سواء في باريس أو في الجزائر، والآن تصلني رسائل الحاكم العامّ للجزائر**»[3]؛ فرغم هزيمته إلاّ أنّ كبرياءه وأنفته ترفضان الاعتراف بالهزيمة، كيف لا وهو يُعتبر تلميذا صغيرا في مدرسة كبيرة معلّمها نابليون.

يحاول كافيار دائما الانتقام والثّأر من الأتراك الذين أسروه واستعبدوه على حدّ قوله، متعصّب لوطنه فرنسا ولأبناء وطنه، يقول عن احتراق أسطول الجزائر: «**ما زالت النّار مشتعلة في بعض السّفن، وأضحت البقيّة كلّها رمادًا، وحين رفعت رأسي اتّجاه أعلي المدينة رأيت الدّخّان يصعد منها، جزء كبير من المدينة قد تحطّم، اختبأ النّاس في بيوتهم، ولم يعد هناك سوى الجنود يجرّون مثل مجانين بين الشّوارع. تمنّيت لو أنّ الفرنسيّين هم من فعل ذلك وهم من حمل هذا الشّرف الذي سيتباهى به الإنجليز أعواما طويلة**»[4]؛ فلكم تمنّى كافيار نيل الفرنسيّين هذا الشّرف العظيم، ويتّضح من خلال كلامه تعصّبه المبالغ فيه لأبناء وطنه.

1- المرجع السّابق، ص265.

2- المرجع نفسه، ص263.

3- م.ن، ص112.

4- م.ن، ص124.

لم يتوقّف كافيار عند هذا الحدّ فحسب، بل إنّه يستمرّ في سخريّته من الجزائريّين ومن الأتراك ومن دينهم قائلًا: «**الإيمان بالله في لحظات الضّعف ليس إلاّ هراءً، المؤمنون الحقيقيّون هم من يؤمنون في لحظات القوّة والنّصر، إنّني أحتمي بالله حينما يعتقد النّاس أنّني لست بحاجة إليه**»[1]، وعلى الرّغم من كلّ هذا الغرور إلاّ أنّه يظلّ على علاقة طيّبة مع أبناء جنسه، أهمّهم صديقه المقرّب ديبون ويستمرّ في مراسلته بين الفينة والأخرى؛ يقول ديبون: «**ونداء يطلب منّي نسخ الرّسالة وإرسالها إلى صديقي القديم كافيار**»[2]، ودائما ما كان ديبون يصفه بأنّه أفصح لسانًا منه: «**دائما كان كافيار أفصح منّي، ولكنّه يعترف دومًا أنّي أشدّ عنادًا منه، ومع هذا افترقنا ولم يغيّر كلانا أيّ شيء في صاحبه**»[3]؛ ويستمرّ كافيار التّعبير عن نفسه وعناده الشّديد وفصاحة لسانه بكلّ فخر واعتزاز.

كما أنّ له علاقة طيّبة مع القنصل دوفال: «**استفقت على صوت القنصل، وقد دخل غرفتي أثناء نومي، كلّمني عن سفينة فرنسيّة رست بميناء الجزائر**»[4]؛ ومعنى ذلك أنّ كافيار كانت له مكانة عظيمة في الحكومة الفرنسيّة فقد كان في الأصل مهندسا ووزيرًا في حكومة نابليون ومن المهندسين المهميّن الذي أُرسلوا في ركاب الحملة على الجزائر.

يستمرّ كافيار بالاستهزاء بالعرب الجزائريّين، ويستخّف بجهلهم وتخلّفهم، وكيف يتعلّق الأوروبيّ بمدينة مثل إسبرطة وكيف له أن يتنكّر لجنسه العريق؛ فها هو يلتقي طبيبًا ألمانيًا على متن الباخرة فتحدّثه نفسه مندهشًا أعجابه الشّديد بمدينة كإسبرطة وبالصّحراء والرّمال: «**إذ جزمت أنّ طبيبا مثله سيكتشف بيسر أنّ المدينة التي فتن بها، لا تكاد تعثر بها على طبيب، أو حتّى عالم طبيعة، أو مهتمّا بعلوم أخرى، هم لا يحسنون سوى الأكل**

1- المرجع السّابق، ص115.

2- المرجع نفسه، ص23.

3- م.ن، ص20.

4- م.ن، ص272.

والشّرب»[1]؛ فكافيار يسخر من جهل الجزائريّين وتخلّفهم في الجانب العلميّ؛ فهم لا يحسنون شيئا على حدّ قوله رغم ما يملكون من مقوّمات طبيعيّة وبشريّة.

وامتدّ ظلم كافيار واستعباده للجزائريّين أنّه كان السّبب الرّئيس في القضاء على والد "دوجة" وهي الشّخصيّة المحوريّة الخامسة في الرّواية، التي تمنّت لو أنّ السّلاّويّ لم يغادر ليردّ لطمة كافيار لوالدها، تقول دوجة: « **وربّما يردّ اللّطمة التي وجّهها له كافيار ذلك اليوم»**[2]، وتضيف: «**ووقف أبي منحنيًا كأنّما قد اقترف ذنبًا لم أكن أنتظر أن يزداد حنق كافيار، بينما بقي أبي مُطأطئًا رأسه، ثمّ امتدّت يد كافيار إلى وجهه فلطمه حتّى سقط»**[3]، فهو رجل عديم الإنسانيّة، انتزعت من قلبه الرّحمة يتلذّذ بإهانة الجزائريّين الضّعفاء، وكان سببا في نفي ابن ميّار إلى "إسطنبول": «**قد تحقّقت إشارة سيدي عبد الرّحمن، وانتصر كافيار يا لالة سعديّة، وقدّر علينا الرّحيل عن المحروسة مجبرين، النّفي هو الوسيلة الوحيدة التي يمكنهم إبعادي بها»**[4]؛ هذا ما قاله ابن ميّار لزوجه "لالّة سعديّة" يملأه الضّعف والقهر: «**ولم يكن الرّحيل عن المحروسة بالنّسبة لمحبّيها إلاّ وجهًا آخر للموت»**[5]، بألم وحسرة شديدين كانت هذه آخر الكلمات التي قالها ابن ميّار وهو يستعدّ للرّحيل عن المحروسة بعد قرار نفيه منها.

يقول كافيار عن رحيل ابن ميّار: «**كنت أريد أن أقول: يا ابن ميّار إنّني الآن حاكم على الجزائر، وليس عليك الاحتجاج عليّ. عليك الآن فقط حمل أشيائك والرّحيل عن هنا، هي لا تستوعبنا نحن الاثنين، مثلما يجب أن يزول تأثيرك على ديبون ليعود مثلما كان**

1- المرجع السّابق، ص333.

2- المرجع نفسه، ص231.

3- م.ن، ص232.

4- م.ن، ص 383.

5- م.ن، ص384.

في السّابق»[1]؛ وهكذا تحقّق لكافيار ما أراد، وربّما هذه الحادثة تكون بمثابة الشّرارة الأولى للكثير من الانتصارات التي حقّقها كافيار فيما بعد.

وانتصر كافيار للمرّة الثّانية وثأر لنفسه وللفرنسيّين قائلًا: «**هكذا استقام كلّ شيء، وشعرت أنّ الدّيوان الإسبرطيّ لم تبق له إلاّ أيّام قليلة حتّى يُطوى نهائيّا مع رحيل ابن ميّار، وربّما يومها فقط سيعود ديبون بعد أن يكتشف حجم الأخطاء التي قد ارتكبها**»[2]؛ وأبعد ابن ميّار مجبرًا عن وطنه بل وآلاف الميّارين لتمتلئ بآلاف الفرنسيّين، يقول كافيار بكلّ ثقةٍ و تحدٍ: «**الرّحيل عن إسبرطة هو نوع آخر من العودة إليها، يدخلها كافيار المقيّد بالأغلال ليعود إليها من أجل وضع الأغلال في أرجل الأتراك والمور**»[3]؛ إذًا بالفعل عاد كافيار إلى الجزائر بعد سنوات من أسره لدى الأتراك؛ فقد خرج منها مهزومًا مكسورًا وعاد إليها منتصرًا مع الحملة الفرنسيّة لاحتلال الجزائر بعد خروج الأتراك منها «**وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الحكومة الفرنسيّة نفسها لم تتخذ موقفا واضحًا من قضيّة الجزائر إلى سنة 1834م. ولكنّها وبتوصية من اللّجنة الإفريقيّة قرّرت الاحتفاظ بالجزائر وإلحاقها بفرنسا، وإعطائها إدارة قادرة في منصب الحاكم العامّ الجديد الذي كان مسؤولًا عن كلّ الأمور العسكريّة والمدنيّة في الجزائر في هذا التّاريخ**»[4].

حيث كان كافيار أحد المخطّطين للحملة الفرنسيّة على الجزائر رفقة بقيّة الضّبّاط الفرنسيّين من أمثال القنصل دوفال «**اعتدنا على تهوّر دوفال، ولكن ما حدث هذا المساء كان مبالغا فيه، لقد أهان الباشا. واستغربت كيف أنّه لم يقتله، ضربه بالمروحة فقط. كان القنصل يعيد ما حدث في الدّيوان بينما تدفّق السّرور إلى داخلي، الفرصة التي انتظرناها طويلًا استعجلها القنصل بإهانته للباشا**»[5]؛ عبّر كافيار عن سعادته المطلقة عند سماعه

1- المرجع السّابق، ص338.

2- المرجع نفسه، ص336.

3- م.ن، ص274.

4- ينظر، أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص63.

5- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق، ص270.

خبر حادثة الروحة بين الباشا العثمانيّ والقنصل الفرنسيّ، ويضيف كافيار معبّرا عن السّعادة نفسها قائلا: «**بدا لي دوفال مصرّا على إنهاء الموضوع مع الباشا، ولكنّني لم أعِ إن كانت تلك أوامر صادرة من باريس، أم أنّه اجتهاد شخصيّ. في الطّريق بحثت عن إجابات مقنعة، ولكنّني وأنا أعبر حديقة البيت انصرفتُ عن بحثي، وقد كانت النّتيجة واحدة. القطيعة بين الملك والباشا، وإعلان الحرب**»[1]؛ إذًا فإعلان الحرب هو الحقيقة التي ظلّ كافيار يبحث عنها لسنوات خلت، عاش خلالها سنوات من المعاناة والاضطهاد منذ هزيمته في معركة واترلو على يد الإنجليز، ثمّ سنوات أسره تحت إمرة الأتراك؛ كلّ ذلك خلق في ذاته شخصيّة ثائرة متمرّدة تُكِنّ العداء والبغض لكلّ من كانت له يد في ضعفه بعد كان قائدا سيّدا في وطنه.

و قبل الانتقال إلى دراسة شخصيّة حمّة السّلاّويّ، حريّ بنا أن نوضّح صورة التّمرّد في شخصيّة كافيار وفق المربّع السّيميائيّ (النّموذج العامليّ) على النّحو التّاليّ:

1- المرجع السّابق، ص270..

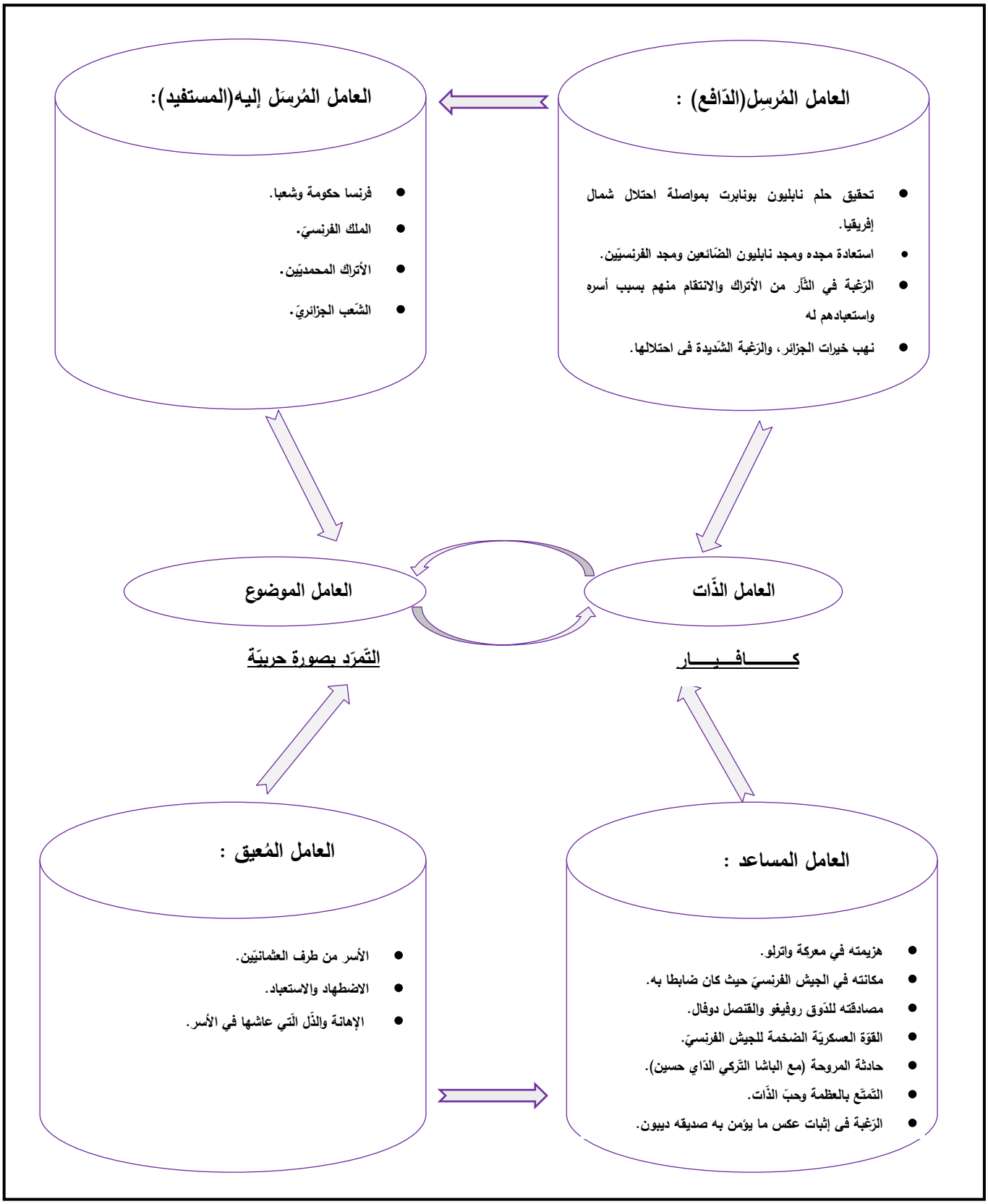

المربع السّيميائيّ (النّموذج العالميّ) لصورة التّمرّد في شخصيّة " كــافـيــار"

II-2- شخصيّة حمّة السّلاّويّ

حمّة السّلاّويّ شخصيّة جزائريّة، يمثّل صوت الجزائريّين الأحرار الذين يرفضون أيّ تواجد أجنبيّ ببلادهم تحت أيّة ذريعة كانت وهو لا يُحيل على شخصيّة حقيقيّة بعينها وإنّما إسقاط لشخصيّة حقيقيّة، ولكنّه يُعبّر على صوت الجزائر العميق الذي لا يحفل به التّاريخ «**أحد السّكّان العرب الجزائريّين درويش ومهرّج دمى في الظّاهر، لكنه حكيم ووطنيّ وغيور على وطنه، يقتل الخونة ويلتحق بجيوش الأمير عبد القادر عند بدأ المقاومة الشّعبيّة في الغرب**»[1]، وتعتبر أحدى الشّخصيّات المحوريّة في الرّواية، وسمّي بهذا الاسم نسبة لحارة السّلاّويّين وهي حارة شعبيّة كانت في الجزائر العاصمة، يقول السّلاّويّ عن ذلك بعد فراره من الجنود الفرنسيّين: «**تقت لزيارة حارة السّلاّويّين. ساعةً سرتها عبرت. حارة الميّارين والسّلاّويّين ولا أثر لأحد**»[2]؛ فهو يُعبّر عن اشياقه للمكان الذي نشأ به بعد فراره منها بسبب قيامه ببعض العمليّات الفدائيّة.

صوّر الرّوائيّ شخصيّة حمّة السّلاّويّ بأنّها شخصيّة ثائرة ضد الاستعمار الفرنسيّ، والذي رمز به إلى المواطن المناضل المدافع عن وطنه بكلّ ما أوتي من قوّة، وقف في وجه الأتراك والفرنسيّين على حدّ سواء؛ فكان لا يهابهم ولا يخشاهم، شديد النّخوة في الدّفاع عن وطنه المحروسة التي خذلها أهلها، يغامر بنفسه ولا يأبه للمعاناة التي يتكبّدها من أجلها فحمّة السّلاّويّ لا يستطيع حماية المحروسة بمفرده بل يحتاج لمن يمدّ له يد العون، لذلك عبّر متأسّفًا: «**حمّة يا حمّة، شئت أم أبيت، المحروسة التي كنت تدافع عنها بالأمس لم تصبح محروسة اليوم**»[3]؛ فهو يتأسّف على ضياع الجزائر بين الأتراك والفرنسيّين وقبلهما

1- ينظر، الموقع https://www.alquds.co.uk ، تاريخ الدخول: 29/ 05/ 2022م. ساعة الدخول: 09سا: 00د صباحا.
2- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق، ص365.
3- المرجع نفسه، ص67.

الإسبان والتي كان يحبّ أن يناديها باسم المحروسة تعبيرًا عن حبّه وتعلّقه الشّديد بها، فهي وطنه الذي نشأ وتربّى وكبر فيه، فكيف له أن يرضى بضياعها بهذه السّهولة.

ويردف قائلا: «**أ تضيع المحروسة بهذا اليسر؟؟!!**»[1]؛ فقد أصيب بخيبة أمل بعد دخول الفرنسيّين إلى الجزائر مكان الأتراك «**للأسف فقد سلّمها الأتراك إلى الفرنسيّين**»[2]؛ فهو يتأسف ويتحسّر على فقده للمحروسة كما يعبّر عن ذلك في قوله: «**قلبي لا يمكنه التّفكير في محروسة أخرى غير التي عرفتها**»[3]، فكان أهون عليه أن تبقى المحروسة في أيدي الأتراك – رغم انّه يرفضهم أيضًا – على أن تسلّم للفرنسيّين «**غادر الدّاي حسين الجزائر في 10 من شهر جويلية إلى نابولي، ومنها انتقل إلى الإسكندريّة، وغادر معه معظم الجنود الأتراك إلى تركيّة. وبذلك انهارت الجزائر العثمانيّة وخرج بنو عثمان من الجزائر، ليتسلّم الشّعب الجزائريّ الدّفاع عن مصيره بنفسه**»[4]؛ إذًا فقد خرج الأتراك من الجزائر ليتسلّمها الفرنسيّون، وتبقى الجزائر لعبة في أيادي الأجانب.

لم يذكر الكاتب السّمات المادّيّة والجسديّة لشخصيّة السّلاّويّ سوى أنّه يتّخذ من مقهى الشّاوش مكانًا له لإضحاك روّاد المقهى بالعرائس التي يسخر بها من الأتراك والتي كانت تخيطها له دوجة، يقول السّلاّويّ في هذا الصّدد: «**كانت دوجة قد خاطت لي عرائس جديدة، أحملها وألتجئ إلى حيّ المقاهي، وأنزوي في مكان قصي. يجتمع بعض النّاس كعادتهم، ولكنّهم لا يجرؤون على الاستمرار في المشاهدة. يخشون الجنود الذين يزدادون كلّ يوم كثافة**»[5]، عبّر السّلاّويّ عن خشية الجزائريّين من الأتراك حتّى أنّهم لا يستمرّون في الاستمتاع بمشاهدة مسرح العرائس خوفا من بطشهم.

1- المرجع السّابق، ص152.

2- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

3- م.ن، ص.ن

4- ينظر، محمّد خير فارس، دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثمانيّ إلى الاحتلال الفرنسيّ، ط1، 1969م، ص205.

5- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق،.ص226–227.

وهو غالبا ما يفكّر في المحروسة وفي أصدقائه الذين يحبّهم وفي ذات الوقت يذكّرونه بها عند تعرّضه لخطر ما، ويواصل قائلًا: «**أثناء عبور السّهل فكّرت في ابن ميّار وفي المحروسة وفي دوجة التي تعدّ عرائس جديدة بعد التي خلّفتها في المقهى، حين هاجمني الجنود الفرنسيّون**»[1]؛ هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على طيبة قلب السّلاّويّ، ووفائه لأصدقائه.

يأخذنا الحديث هنا إلى الشّخصيّة الجزائريّة الثّالثة في الرّواية، ألا وهي دوجة تلك الفتاة البسيطة التي قَدمت من الرّيف الجزائريّ إلى المحروسة، تعاني الوحدة في حياتها بعد أن فقدت أفراد أسرتها جميعا؛ وفي ذلك تقول: «**دثّرت أمّي وأتبعتها أخي ثمّ غاب أبي لأجد نفسي وحيدةً أمام قبره، لم أتوقّع يومًا أنّ الأوجاع التي كنت أحملها ستعينني على تحمّل المبغى**»[2]؛ انتهى المطاف بدوجة إلى العيش في المبغى مع مجموعة من الفتيات والنّساء شبيهاتها في المعاناة من ضحايا الفقر والحرمان والتّشرّد واليتم.

السّلاّويّ شابّ بسيط يحصل على قوت يومه من عمله البسيط، فهو لم يكن تاجرًا ولا موظّفًا عند الأتراك ويكفيه ذلك فخرًا لأنّه عزيز النّفس، قنوع بما يجنيه من عمله مسرح العرائس في المقهى: «**ما أنا بتاجر ولا بكاتب عندهم، يكفيني ما أجنيه من المقهى**»[3]؛ ورغم ذلك إلاّ أنّه لم يكن كبقيّة الشّباب الجزائريّين العاديّين إنّما كان مهتمّا بأمور السّياسة أكثر من أيّ شيء آخر ويريد أن يرى وطنه مستقلًّا له كيانه الخاصّ بعيدًا عن أيّ استعمار سواء أكان عثمانيًّا أم فرنسيًّا، فيقول عنه ابن ميّار: «**ويسرّني اختلافه عن الشّباب الآخرين، كانوا تجّارًا فقط، ولا يهمّهم الكثير من أمور السّياسة**» [4]؛ لم يكن السّلاّويّ على علاقةٍ طيّبةٍ بابن ميّار فحسب، بل كان يعتبره أبًا روحيًّا بالنّسبة إليه؛ كان كثيرًا ما يقوم بحمايته من الفرنسيّين والذّود عنه وجَعل بيته ملجأً له عند فراره منهم.

1- المرجع السّابق، ص64.

2- المرجع نفسه، ص89.

3- م.ن، ص52.

4- م.ن، ص 51-52.

عُرف السّلاّويّ بأنّه شجاع حتّى النّخاع لا يخشى الموت في سبيل الوطن، وفي ذلك يقول عن نفسه: «**كنت أتوق إلى الفرار بعيدا إلى التّلال، لأقف عند أسوارها، أو أقتحم الجيش، فليمتلئ جسدي بالرّصاص وليحترق بالبارود**»[1]، فهو هنا يتحدّث عن المحروسة والتي اعتبرها رمزًا للوطن؛ كما أنّه يحبّها حبًّا جمًّا، فيقول عنها: «**اكتسح الظّلام الفضاء كلّه، ثمّ استيقظت على حرقة جديدة، أوّل الكلمات التي قلتها كانت المحروسة**»[2]، فالسّلاّويّ شغوف بحبّ وطنه الجزائر، والوطنيّة تجري في عروقه، تشرّب حبّ الوطن منذ نعومة أظافره.

ومن شدّة حبّه للمحروسة يعتبرها من الأولويّات التي يفكّر بها دائمًا وأبدًا، وكان يبغض الأتراك ويسخر منهم ولا يعجبه شيء، حتّى أنّه تعلّم اللّغة التّركيّة خصّيصا وكان كثيرًا ما يصرّ على حفظ الكلمات البذيئة فيها حتّى يقذف سُبابه عليهم غير مكترث بأحد منهم ولا من الجنود "اليولداش"، منتقدا كلّ شيء من حوله، ويضيف ابن ميّار قائلا عن السّلاّويّ: «**يومها كان السّلاّويّ يقذف سبابه غير عابئ بالجنود اليولداش يسخر منهم، فيركضون خلفه، لكنّه يفرّ بعيدًا متوغّلًا في شوارع المحروسة، لم يحب بني عثمان يومًا**»[3]؛ فمن شدّة بغض السّلاّويّ على الأتراك واليولداش كان يقذف عليهم سبابه دون مبالاة «**واليولداش هم فرقة عسكريّة تركيّة اشتهر أفرادها بالشّجاعة والإقدام، كما اشتهروا بانعدام الثّقافة والعنف، ممّا جعل منهم قوّةً خطيرةً وتتركّب هذه الفرقة من الجنديّ البسيط أو اليولداش**»[4].

هذا بالإضافة إلى صراحته التي لا حدود لها مع صديقه ابن ميّار الذي كان كثيرًا ما يحتجّ على تصرّفاته مع الأتراك ويقدّم له النّصيحة بأنّه ما يزال صغيرًا، وليس عليه معرفة كلّ الحقائق: «**ما زلت صغيرًا يا حمّة، ليست كلّ الحقائق تُقال، بعض الكذب يجعل الحياة يسيرة**»[5]، فيجيب قائلًا: «**ولم يكن كلامه ليقنعني، فطالما كان متعلّقًا بالأتراك، وصديقًا**

1- المرجع السّابق، ص153.

2- المرجع نفسه، ص154.

3- م.ن، ص51.

4- ينظر، مبارك بن محمّد الهلاليّ الميليّ، تاريخ الجزائر(في القديم والحديث)، ج3، مكتبة النّهضة الجزائريّة، 37 شارع عمر القاما، 3 شارع العربيّ بن مهيديّ، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص127.

5- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق، ص65.

مقرّبا من الباشا الكبير، لهذا اختلفنا، أحبّهم وكرهتهم»[1]؛ رغم الصّداقة الحميمة التي تجمع السّلاّويّ بصديقه ابن ميّار إلاّ أنّ الاختلاف الفكريّ بينهما بيّن لا سيما في طريقة التّعامل مع الأتراك.

وربّما كان هذا سبب الخلاف بينهما، ويضيف لصديقه معبّرا عن بغضه الشّديد لهم: «**يا سيّدي أنت على العين، الرّأس، ولكن أيّة مصلحة ستجمعني معهم حتّى أنمّق لهم الكلام»**[2]، كما عبّر ابن ميّار عن سخريّة السّلاّويّ من الأتراك قائلًا: «**كان يسخر من حمرتهم، مردّدًا أنّهم متسلّطون، أنانيّون، ولا يقاتلون إلاّ من أجل المال، وليست لهم مزيّة سوى نسائهم الجميلات»**[3]؛ وفي هذه العبارة استهزاء واضح من طرف السّلاّويّ بالأتراك؛ فهو يصفهم بأنّهم متسلّطون وأنانيّون ولا يحبّون إلاّ أنفسهم دون أن يخشى في الحقّ لومة لائم، أضف إلى ذلك أنّه كثيرًا ما كان يتحدّث عن طباعهم القاسية التي كانوا يعاملون بها أهالي المحروسة، وعلى هؤلاء تقبّل ذلك، فهو يقول عنهم: «**بسهولة تكشف طبع هؤلاء الأتراك، كبرياؤهم لا حدود له، ميّالون إلى إهانة النّاس، كانت بيوتهم أجمل من بيوتنا، ومزارعهم أوسع من مزارعنا، ومفتيهم كانت له الكلمة الأخيرة عند الباشا الكبير»**[4]؛ ففي هذه العبارة تعبير صادق نابع من استياءٍ شديدٍ لما يتّصف به هؤلاء العثمانيّون ومعاملتهم الفجّة للجزائريّين البؤساء.

ويسترسل الرّوائيّ في حديثه عن شجاعة السّلاّوي ومواجهته للأتراك دون خوف؛ فها هو يتحدّث عن نفسه قائلًا: «**ولكنّهم مع ذلك كانوا معجبين بالشّجاعة التي تواجه بها الأتراك ولا يبدون لك ذلك»**[5]؛ فقد بلغ صيت السّلاّوي كلّ أرجاء المحروسة، حتّى أنّه اُتّهم بأنّه يُؤلّب النّاس من أهالي المحروسة ضد الفرنسيّين، ويدعوهم إلى الثّورة، فيقول عن ذلك:

1- المرجع السّابق، ص65.

2- المرجع نفسه، ص52.

3- م.ن، ص51.

4- م.ن، ص66.

5- م.ن، ص65.

«**كانوا يتّهمونني مثلما اتّهمني الأتراك، أنّني أدعو النّاس للثّورة عليهم**»[1]، ولكن ذلك لم يكن مجرّد اتّهام؛ فها هو يحدّث نفسه قائلًا: «**عليك يا حمّة تغيير طريقتك، يجب أن تهتف في أهالي المحروسة أن ينضمّوا إلى الثّوّار، ما الذي يبقيهم في المحروسة خانعين ؟**»[2]؛ فلم يعد هناك جدوى من الصّمت فالسّلاّويّ يجب أن يتحرّك، فهو يرى أنّ له تأثير قويّ على أهالي المحروسة وبإمكانه إقناعهم بضرورة التّغيير عن طريق الثّورة وإجلاء الأعداء عن الوطن إلاّ أنّه للأسف لم يجد آذانًا صاغيةً.

كان السّلاويّ أكثر استياءً وتأسّفًا لما يحدث حوله من سيطرة واستعباد وهيمنة المستعمرين العثمانيّين والفرنسيّين، الأمر الذي جعله يبدو أكثر سخطًا وتمرّدًا على الأوضاع المزرية التي تحدث في المحروسة، فما كان منه إلاّ أن يشارك بالفعل في العمليّات الفدائيّة ويلتحق بالثّوّار، فيقول عن مطاردة جنود اليولداش له: «**كانوا يتصايحون خلفي بلكنتهم: اقبضوا عليه**»[3]، لكنّه كان في كلّ مرّة يفرّ منهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على شجاعته وصموده.

ولم يتوقّف السّلاّويّ عند هذا الحدّ بل جاب العديد من المناطق مجاهدًا ومناضلًا في سبيل استقلال المحروسة والوطن وكانت له رغبة ملحّة في الالتحاق بالثّوّار «**ولكن أيّ دروب غيّبتك يا حمّة ؟؟ أ تراك التحقت بالثّوّار مثلما ظلّ يردّد ابن ميّار ؟**»[4]، هكذا ردّد حمّة السّلاّويّ، وبالفعل فقد التحق بالثّوّار وشارك في العديد من العمليّات الفدائيّة ضد المستعمر، ويضيف قائلا: «**خيّموا قبلنا وهاجمنا قبلهم في سيدي فرج، كنّا في ثلاثمئة فارس فقط، كثير من أهالي المحروسة والعربان وقليل من اليولداش، سرنا حتّى بلغنا السّهل الذي احتلّوه، تفصلنا مسافة لا يستهان بها**»[5]؛ فالسّلاّويّ يعبّر بالفعل عن تمرّد

1- المرجع السّابق، ص65.

2- المرجع نفسه، ص68.

3- م.ن، ص63.

4- م.ن، ص87.

5- م.ن، ص145.

الشّابّ الجزائريّ الرّافض لوجود أيّ عنصر أجنبيّ في وطنه، ويضيف ابن ميّار حديثه عن السّلاّويّ: «**كان السّلاّويّ من الذين قاتلوا في سيدي فرج وسطاوالي وأخيرا في الحرّاش**»[1]؛ يفتخر ابن ميّار بشجاعة صديقه رغم عدم اقتناعه بما يفعله، فابن ميّار سياسيّ محنّك يرى أنّ الحوار السّياسيّ وتقديم العرائض والشّكاوى بين الطّرفين هو الحلّ الأمثل لاستقلال المحروسة، في حين يرى السّلاّويّ عكس ذلك.

جميع أصدقاء السّلاّويّ كانوا على علم تامّ برغبته برحيل الأتراك، فها هي دوجة تتحدّث عن ذلك قائلةً: «**وأطلّ منها على أيّام كانت فيها للسّلاّويّ أحلام بزوال الأتراك**»[2]؛ فزوال الأتراك ورحيلهم كانت أمنية من أمنيات السّلاّويّ الكثيرة والتي ما ينى يفكّر فيها ويحدّث بها أصدقاءه المقرّبين من أمثال دوجة وابن ميّار.

لم يكتف حمّة السّلاّويّ بمشاركة الفدائيّين القتال ضد الاستعمار فحسب، بل كان يشارك أهالي المحروسة في دفن جثامين قتلاهم معبّرًا عن استيائه الشّديد لما يحدث لهم، مشفقًا عليهم: «**حملت معهم الجثامين، ولم نفرغ من دفنها إلاّ بعد بزوغ شمس يومٍ جديدٍ**»[3]؛ يظهر من خلال هذه العبارة اتّصاف السّلاّويّ بروح التّكافل والتّعاون الاجتماعيّ.

ويضيف السّلاّويّ معبّرًا عن عبوديّة الأتراك للجزائريّين وأهالي المحروسة واستغلالهم أبشع استغلال، وكيف تفكّك أهل مدينته وتفرّقت قوّتهم وأصبحوا خانعين مُذَلّين يرضون بالاستكانة، والإهانة؛ فيقول عنهم: «**نعم لطالما آمنت أنّ المدينة تجعل من الإنسان أكثر ذلًّا وأميل إلى العبوديّة**»[4]، ولذلك دعا أهل المحروسة إلى الثّورة ضدّهم، وينتقل السّلاّويّ إلى رغبة أخرى في زوال الفرنسيّين وجلائهم التّامّ عن المحروسة، فيعبّر عن ذلك مخاطبًا

1- المرجع السّابق، ص59.

2- المرجع نفسه، ص88.

3- م.ن، ص66.

4- م.ن، ص218.

الصُّحُفيّ ديبون قائلًا: «**لا أريد الآن إلاّ جلاء جنودكم عن المحروسة يا ديبون**»[1]، بكلّ ثقةٍ يتحدثّ السّلاّويّ مع الصّحُفيّ المبعوث مع الحملة الفرنسيّة ودون خوف أو خشية في رغبته الشّديدة والملحّة في رحيل الفرنسيّين عن الوطن.

بتتبّع شخصيّة حمّة السّلاّويّ في الرّواية نجده ذلك الشّابّ المناضل الذي وقف في وجه المستعمر، حالما بأن يقضي عليه رفقة الشّباب الجزائريّ أمثاله، والذي سعى جاهدا لحماية المحروسة من الأوباش الأتراك والفرنسيّين إلى حد نكران ذاته في سبيل تحقيق رغبته في استقلالها، فيقول عن ذلك: «**الحياة في المحروسة هي شكل آخر للموت، أراه كلّ يوم في عيون النّاس**»[2]. لكنّ أهلها خذلوه، ولم يجد في رجالها كلّهم من يعينه على الخلاص من المستعمِرين؛ ممّا جعل السّلاّويّ يرفض جبن هؤلاء، ويتحدّى كلّ الصّعاب لحماية بلده واقفا في وجه الأعداء دون مبالاة لنتائج ذلك، فغدا كثير الحركة متنقّلا من مكان إلى آخر يرصّد الأعداء والخونة ليثأر منهم.

وفي ذلك تقول دوجة عنه: «**السّلاّويّ لِمَ ارتبطت حياته بالرّكض الدّائم، سواء في زمان بني عثمان، أو حين دخل الفرنسيّون ؟**»[3]؛ تتساءل دوجة عن سبب ركض السّلاّويّ الدّائم في زمن الأتراك وفي زمن الفرنسيّين، فهو لا يكلّ ولا يملّ يرغب دائمًا وأبدًا في إجلاء الأتراك والفرنسيّين عن المحروسة، وهذا الأمر يدلّ على تعلّقه الشّديد بالمحروسة وحبّه ووفائه لها.

رسم الكاتب هذه الشّخصيّة بهذه المواصفات ليعبّر بها عن روح الانتماء الوطنيّ وحبّ المقاومة رغم حياة البؤس والحرمان والشّقاء والفقر المدقع الذي تعيشه، كلّ هذا إلى جانب أنّ شخصيّة حمّة السّلاّويّ تتميّز بالمروءة والأنفة والشّموخ، ودفاعه المستميت عن فتيات

1- المرجع السّابق، ص290.

2- المرجع نفسه، ص64.

3- م.ن، ص86.

"المبغى" « **والمبغى: اسم مكان لممارسة الدّعارة، أو هو المكان الذي يبحث فيه أصحابه عن تحقيق رغبة أو مطلب ما، من الفعل ابتغى الشّيء: أراده و طلبه، والمرأة بغاءً: فجرت**»[1].

ومن بين فتيات المبغى دوجة التي أحبّها وتعلّق بها؛ تلك الفتاة الجميلة الطّيّبة التي أرغمتها الظّروف القاسية على الولوج إلى عالم البغاء مع مثيلاتها؛ حيث قدمت من القرية إلى المحروسة هربًا من سجن الوحدة لتجد نفسها في سجن آخر وهو المبغى بعد أن مرّت بالعديد من المحطّات «**في البدء كانت القرية، ثمّ بيت القنصل أيّاما قليلة، ثمّ المحروسة**»[2]، خادمة في حوانيت التّجّار «**وأنظّف مساحة أمام حانوت شيخ، لم يهتم بالنّظافة بقدر ما كان يحبّ فيه سماع غنائي، ينادي عليّ يهبني تفّاحة، ويطلب منّي الغناء، كان الشّيخ مولعًا بأغاني الرّيف يتعالى صوتي في الباحة، فيغادر التّجّار حوانيتهم، يراقبونني، ويستمعون في شغف**»[3]، ثمّ مغنّية في فرقة "لالّة مريم" «**و كلمة لالّة بتشديد اللاّم الثّانية معناها سيّدة**»[4] كي تؤدّيَ الأغاني في الأعراس «**كان التّجّار يهتفون باسمها ويقارنون صوتها بصوتي، هي الآن تسير أمامي، وربّما سأصير في فرقتها عمّا قريب، أردّد المواويل خلفها في الأعراس**»[5]، وهي تستذكر كلام أمّها لها عن جمال صوتها فتقول: «**أتذكّر كلمات أمّي: صوتك جميل يا دوجة، قد ورثْتِه عن جدّتك مغنّية القرية**»[6].

لينتهي بها المطاف في المبغى مرغمة بعد أن أخذها "المزوار" «**وهو المكلّف بحماية المدينة ليلا ونهارا وتكون الأحباس تحت رعايته ومن وظائفه مراقبة أهل الدّعارة وما**

1- ينظر، المعجم الوسيط، المرجع السّابق ص65.

2- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق، ص231.

3- المرجع نفسه، ص236.

4- ينظر، نور الدّين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر (من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثمانيّ)، دار الحضارة، الجزائر، (د.ط)، 2007م،،ص56.

5- عبد الوهّاب عيساويّ، المرجع السّابق، ص237.

6- المرجع نفسه، ص236.

يتعلّق بالبغاء وبنات الهوى، وللمزوار أعوان من الحرس»[1]. «**حين التقيت في المبغى بكثيرات عملن في فرقتها، ثمّ تحوّل مصيرهنّ فجأة إليه»**[2]؛ هذا المصير المؤلم أُرغمت دوجة و مثيلاتها على المضي فيه.

وتعقّب دوجة عن تورّطها والفتيات في البغاء قائلة: «**في ذلك اليوم أصرّ المزوار أن يكون معنا، مثلما حرص السّيّد التّركيّ على مرافقة المغنّيات إلى بيته»**[3]، ومن هنا بدأت حكاية البغاء مع دوجة ومعاناتها مع المزوار الذي أضحى فيما بعد العدوّ اللّدود للسّلاّوي، وتضيف دوجة: «**وظلّت عينا السّلاّويّ تتفحّصنا طوال الطّريق، يتأمّل أجسادنا»**[4]، فصارت فصارت دوجة مطمعا للمزوار والأتراك ورجال المحروسة، فريسة سهلة يسهل الانقضاء عليها دون أدنى جهد يُذكر.

تقول دوجة عن السّلاّوي الذي بادلته الحبّ والتّعلّق معبّرة عن مروءته ونخوته قائلةً: «**يبدو الأمر كلعبة يحبّ الرّجال ممارستها دومًا عدا السّلاّويّ، لم ينظر إليهنّ مثلما رآهنّ رجال المحروسة أو الأتراك»**[5]؛ فلم يكن السّلاّويّ كغيره من الرّجال في نظرته إلى النّساء، وتضيف: «**في تلك الأيّام عرفت السّلاّويّ، رجلا يرفض كلّ نساء المبغى، ولكنّه أوّل من يدافع عنهنّ»**[6]، يرى السّلاّويّ أنّ حبّ دوجة من حبّ الوطن فكلاهما ضحيّة أطماع الآخرين ممّن هم أكثر سلطةً وجاهًا، لذلك فقد تعلّق السّلاّويّ بدوجة ويرى هذا التّعلّق جزء من تعلّقه بالوطن.

وتستمرّ دوجة في حديثها عن السّلاّويّ مفتخرةً بمروءته ومعبّرةً عن الحبّ الشّديد الذي تكنّه له، وتبيّن له أنّه لا ذنب لها فيما حدث وفيما يحدث، وأنّها مجرّد ضحيّةٍ، وتضيف

1- ينظر، نور الدّين عبد القادر، المرجع السّابق، ص81.

2- عبد الوهّاب عيساوي، المرجع السّابق، ص240.

3- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

4- م.ن، ص.ن.

5- م.ن، ص88-89.

6- م.ن، ص78.

مخاطبةً السّلاّويّ ومحدّثةً نفسها: «**يجب أن تعرف أنّ ذلك الأسبوع الذي قضيته مع المزوار كان يعادل كلّ أوجاعك، أسبوع حوّلني إلى بغيّ، وليتك قاسمتني الغرفة يومها**»[1]؛ ولم تقف دوجة عند هذا الحدّ بل حاولت إقناع السّلاّويّ بأن يتفهّم موقفها قائلةً: «**لو يدرك السّلاّويّ فقط شعور امرأة تقف عند باب غرفة بالمبغى تطالع الرّجال المارّين، لا تعرف أيّ رجل من بينهم سيختارها لتنام معه**»[2]، تقول ذلك بنبرة حزينة ملؤها الحسرة والأسى، على ما آلت إليه، وتتحرّك في نفسها رغبة قويّة للخلاص من ذلك المزوار، ولكن هل تستطيع امرأة ضعيفة كدوجة القضاء عليه ؟ أم أنّها تحتاج إلى من يساعدها على ذلك ؟ تحتاج إلى رجل قويّ شجاع وشهم يثأر لها ولمثيلاتها من الفتيات الضّعيفات المغلوبات على أمرهن اللائي لا حول لهنّ ولا قوّة، تحتاج إلى سلاّويّ الجزائر الثّائر المناضل المتمرّد على أوضاع المحروسة المزرية.

وتقول دوجة في هذا الشّأن: «**لو كنت معي يا سلاّويّ، وتتبّعت تفاصيل ما حدث فإنّك ستقتله أكثر من مرّة، يحتاج المزوار إلى آلاف من الحيوات كي تقتله فيها، ولن يتغيّر شيء، ما إن يموت حتّى يظهر مزوار آخر**»[3]؛ فكأنّ السّلاّويّ قد لبّى النّداء وسمع ما قالته دوجة وهرع مسرعًا لإنقاذها، وإراحة العالم من شرّه الذي ينفثه هنا وهناك، غير عابئ بكرامة وشرف الآخرين لا سيّما الفتيات منهنّ، وصار يكنّ له كرهًا شديدًا، ويبدي رغبةً ملحّةً في القضاء عليه، وكأنّ نداء دوجة كان بمثابة الشّرارة التي أشعلت فتيل الثّأر والانتقام من الأتراك والفرنسيّين على حدّ سواء، فيقول السّلاّويّ عن ذلك: «**إنّ رجلا مثل المزوار لا يستحقّ الحياة في المحروسة بعد رحيلي، قد أمهلته أكثر ممّا يجب، سأصبح متفهّما**

1- المرجع السّابق، ص302.

2- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

3- م.ن، ص242.

حينما أنتهي من المزوار»[1]؛ يبدو جليًّا من هذه العبارة أن نار السّلاّويّ متأجّجة وبداخله بركان هائج ينتظر إشارة فقط حتّى ينفجر.

ولكنّ المزوار من رجال الدّولة المهمّين في الحكومة العثمانيّة وله حرسه الخاصّ، يقول السّلاّويّ متأسّفًا عمّا آلت إليه فتيات المبغى: «**يهتزّ قلبي كلّما رأيتهنّ يصطففن هناك، يختار بينهنّ المزوار واحدة لليلته، كان الأمر قاسيا كلّما أبصرته خفية من سقيفة ما، ترتعش اليدان تبحثان عن خنجر لتقطّعا جسده، ولكنّه يحتمي بجنوده»**[2]، وتأخذه النّخوة في الدّفاع عن بنات المبغى لأنّ الدّفاع عنهنّ هو دفاع عن المحروسة وعن الوطن، فهنّ صورة مصغّرة لهذا الوطن، «**كان عليّ أن أنتهي منه بسرعة، ولكنّه ظلّ يحصّن نفسه»**[3]؛ رجل جبان فلولا جنده لما استطاع فعل شيء.

ويردف السّلاّويّ قائلًا: «**عبرنا الشّوارع حتّى بلغنا حيّ المبغى، عسكر به الجنود، ولم أرَ المزوار بينهم، غاب حتّى شككت أنّه لن يعود، ثمّ ظهر بعد أيّامٍ قليلةٍ، ولكن عودته حملت معها الكثير من الأحقاد»**[4]، يعود السّلاّويّ ويُؤكّد على رغبته في الانتقام من المزوار والثّأر لدوجة ولكلّ من عاشت تجربتها، باعتباره أحد القوّادين الذي يحتمون تحت قناع القانون، وباعتباره يمثّل الوجه الأجنبيّ الدّخيل على المحروسة وعلى أهلها؛ فيقول: «**فدائما للقوّادين أقنعة يجدّدونها بما يوافق الأزمنة التي يعيشونها، زمن الأتراك كان له قناع الدّين والفضيلة، أمّا زمن الفرنسيّين فله قناع المصلحة والنّظام»**[5]، ويصّر السّلاّويّ على قتل المزوار والقضاء عليه: «**وانتصب المزوار بينهنّ، بدت إحداهنّ مثل دوجة أوّل ما دخلت**

1- المرجع السّابق، ص221.

2- المرجع نفسه، ص289.

3- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

4- م.ن، ص225.

5- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

المحروسة، مغبرّة وملامحها الرّيفيّة بادية على هيئتها، استيقظت داخلي الرّغبة في قتله»[1]، ما رآه السّلاّويّ من المزوار أيقظت الرّغبة في قتله عاجلا غير آجل.

وأخيرا قرّر السّلاّويّ قتل المزوار: «**لكنّني قرّرت أنّ المزوار لن يرى نهار يوم آخر، نعم لا بدّ من إنهاء هذه الحكاية. يضيء قمر المحروسة بجنون، أحرّك الخنجر في يدي، فأرى لمعته، آه لو يراها المزوار مثلما أراها الآن**»[2]، قتل السّلاّويّ المزوار حين لم يستطع القضاء على الأتراك والفرنسيّن، لكنّه فخور بما فعل، لقد أراح المحروسة من رجل خائن كالمزوار، يقول السّلاّويّ مفتخرًا: «**نعم، قد قتلت المزوار يا لالّة سعديّة، ومزّق خنجري أحشاءه**»[3]، وتضيف دوجة مفتخرةً بشجاعة السّلاّويّ وانتقامه من المزوار: «**قد فعلها السّلاّويّ وقتلَ المزوار**»[4]، فقتل المزوار يعتبر بالنّسبة للسّلاّويّ بداية حياة جديدة وكريمة لفتيات المبغى وعلى رأسهنّ دوجة التي تمثّل صوت الشّعب المهمّش حينًا وتمثّل صوت الجزائر حينًا آخر.

ويجيب السّلاّويّ لالّة سعديّة زوج صديقه ابن ميّار: « **لا يا عمّة، بل أنا الذي أصبتهم، الآن فقط يمكن للمحروسة أن ترتاح، لقد قتلت المزوار**»[5]، وهو ما يؤكّد اختلاف وجهات النّظر بين السّلاّويّ وبين ابن ميّار في طريقة التّخلّص من الاستعمار، فهو يرى أنّ ما أُخذ بالقوّة لا يستردّ إلاّ بالقوّة ويؤمن بضرورة الكفاح المسلّح، كما يُؤمن أوّلا وقبل كلّ شيء بالثّورة وبالتّغيير والمقاومة والتّمرّد على الأوضاع لاسترداد الحقوق الضّائعة، إلاّ أنّ ابن ميّار لم يكن راضيًا بما فعله السّلاّويّ «**ورأيت ابن ميّار أمامي [...] بدا سعيدا بنجاتي غير راض عن قتلي للمزوار**»[6]؛ لأنّ ابن ميّار كانت له وجهة نظر أخرى فقد كان يخشى على

1- المرجع السّابق، ص294.

2- المرجع نفسه، ص294-295.

3- م.ن، ص358.

4- م.ن، ص372.

5- م.ن، ص310.

6- م.ن، ص363.

السّلاّويّ من عقاب الدّولة العثمانيّة لأنّ المزوار من رجالات الدّولة ويملك حرسا خاصا، لكنّ السّلاّويّ كان فخورًا جدّا بما فعل.

ورغم هذا الانتصار إلاّ أنّ السّلاّويّ لم يجد يد العون في مقاومة الفرنسيّين من أهالي المحروسة «**إلاّ أنّ هذا الشّعب لم يكن ينقصه التّصميم على الكفاح والمقاومة ولكن كانت تنقصه الوحدة**»[1]؛ فقرّر إثر ذلك الرّحيل إلى الغرب والالتحاق بمقاومة الأمير عبد القادر.

وقبل إنهاء الفصل سنجمل صورة التّمرّد في شخصيّة السّلاّويّ بمختلف دلالاتها في المربّع السّيميائيّ على النّحو التّالي:

1- ينظر، محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص205.

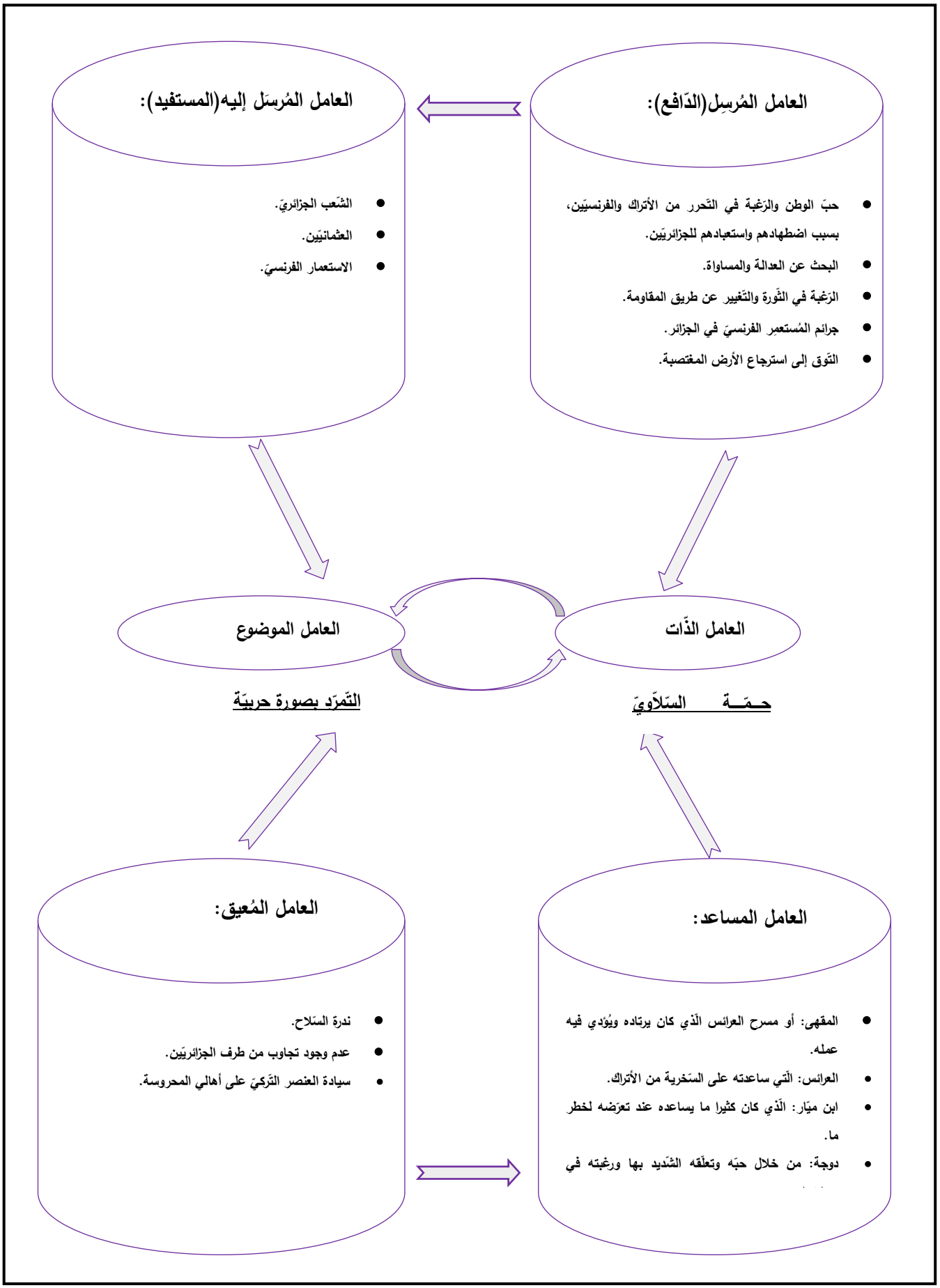

المربع السّيميائيّ (النّموذج العالميّ) لصورة التّمرّد في شخصيّة "حـمّـة

مختتم

بعد هذه الدّراسة المستفيضة لكلّ من شخصيّة كافيار وشخصيّة حمّة السّلاّويّ وقفنا على بعض أوجه الاتّفاق والاختلاف التي نحصرها في النّقط التالية:

من أوجه الاتّفاق ما يلي:

1- يتّفق كلّ منهما في القوّة التّمرّد ورفضهما للأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة.

2- كلّ منهما ثائر ومقاوم ومحبّ لوطنه.

3- يؤمن كلّ منهما بضرورة الثّورة والتّغيير.

4- كلّ منهما عارض الأتراك ورَفضَ تواجدهم في الجزائر.

5- يرغب كلّ منهما في إعادة المجد الضّائع؛ فالسّلاّويّ يريد استعادة مجد الجزائريّين بعد تحطّم الأسطول البحريّ، أمّا كافيار فكان يريد استعادة مجده ومجد نابليون ومجد الفرنسيّين بعد الهزيمة في معركة واترلو.

و من أوجه الاختلاف ما يلي:

1- السّلاّويّ شابّ جزائريّ مسلم، وكافيار ضابط فرنسيّ متعصّب لمسيحيّته.

2- يحبّ السّلاّويّ وطنه الجزائر ويرغب في استقلاله، ويبغض كافيار الجزائر ويرغب في احتلالها.

3- يسخر السّلاّويّ من الأتراك، بينما يحقد كافيار عليهم بسبب أسرهم وتعذيبهم له.

4- يتمتّع السّلاّويّ بروح وطنيّة ثوريّة، ويتمتّع كافيار بروح انتقاميّة عدائيّة.

5- السّلاّويّ شابّ فقير يكسب قوت يومه من عمله بمسرح العرائس، بينما كافيار من كبار رجال الدّولة؛ حيث كان نائب قائد الهندسة المدنيّة في جيش نابليون وعمل وزيرًا في الحكومة الفرنسيّة، وينتمي إلى طبقة النّبلاء.

6- السّلاّويّ طيّب القلب، يتميّز بالنّخوة والمروءة والدّفاع عن الضّعفاء، وكافيار شرّير عديم الإنسانيّة وعديم الرّحمة، فخور معتزّ بنفسه وبانتمائه الفرنسيّ، يتّصف بالكبرياء والشّموخ، يتلذّذ بإهانة الضّعفاء من الجزائريّين والأتراك على حدّ سواء.

7- حمّة السّلاّويّ أحبّ دوجة كما أحبّ الجزائر واعتبر الدّفاع عنهما قضيّته، وتبنّى قضيّتهما ممّا أفضى إلى ثورته وتمرّده وانتقامه من رموز الفساد من أمثال المزوار، والوقوف جنبا إلى جنب مع الثّوّار والمقاومين.

8- كافيار أحبّ السّلطة والتّسلّط، يرى في احتلال الجزائر إعادة لسلطته وفي ذات الوقت ثأرا وانتقاما ممّن أهانه وسلب حرّيته، فعبّر عن ذلك بتمرّده على الأتراك والجزائريّين.

خـــاتمــة

خاتمة

في ختام بحثنا ارتأينا أن نشير إلى أهم النتائج المتحصّل عليها في هذه الدّراسة والتي نجملها في النّقط التّالية:

إنّ السّابر لأغوار رواية "الدّيوان الإسبرطيّ" تبدو له جليًّا صورة التّمرّد في شخصياتها بمختلف دلالاتها؛ حيث نجد أنّ:

1- "ديبون" و"ابن ميّار" شخصيّتان متشابهان في كل تفاصيلهما رغم الاختلافات الفكريّة والثّقافيّة والحضاريّة بينهما؛ فيتّفق كلّ منهما في صورة التّمرّد السّلميّ والكفاح السّياسيّ في وجه العدو, الذي يقوم أساسا على الحوار والمهادنة، وعدم الانزلاق وراء الأصوات المنادية بأنّ ما أُخذ بالقوّة لا يستردّ إلاّ بالقوّة, رغم أنّ كليهما كان رافضا للسّياسة الاستعماريّة التي تنتهجها فرنسا في الجزائر, وله أمل واعتقاد راسخ بأنّ تكريس هذا الأسلوب من شأنه أن يكون سببا في تحسين أوضاع السّكان في المحروسة.

2- "كافيار" و"حمه السلاوي" شخصيّتان متضادّتان ظاهريًّا, لكنّ المتمعّن لما بين سطور الرّواية يُدرك تماما أنّهما متّفقتان في استعمال القوّة والتّمرّد، وفي رفض الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة الرّاهنة؛ والتي جعلت من كلّ واحد منهما شخصيّة ثائرة ومقاومة, تجنح للثّورة والتّغيير، وترفض الخضوع والخنوع للوجود التّركيّ في الجزائر، كلاهما تحرّكه دافعيّة حبّ الوطن وإعادة مجده الضّائع؛ فالسّلاّويّ يريد استعادة مجد الجزائريّين عقب تحطّم الأسطول الجزائريّ, أمّا كافيار فكان يطمح إلى الثّأر لنفسه أوّلاً ممّا حدث له مع العثمانيّين، واستعادة مجد نابليون والفرنسيّين بعد هزيمة واترلو ثانيا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا: القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع, سورة إبراهيم، الآية42.

ثانيّا: الرّواية.

1. عبد الوهّاب عيساويّ، الدّيوان الإسبرطيّ، دار ميم للنّشر، الجزائر، (د.ط)، 2018م.

ثالثا: الكتب.

أ. باللّغة العربيّة.

2. ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، دار نهضة مصر للطّباعة والنشر، مصر، (د.ط)، 1377م.
3. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث- بداية الاحتلال، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط3، (د.ت).
4. أحمد منوّر، ملامح أدبيّة – دراسات في الرّواية الجزائريّة –، دار السّاحل، (د.ط)، 2008م.
5. إلياس أبو شبكة، تاريخ نابليون بونابرت، دار القلم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، (د.ط)، (د.ت).
6. أيمن أبو الرّوس، شخصيّات لا ينساها التّاريخ – نابليون بونابارت إمبراطور فرنسا الذي اكتسح أوروبا ثم وقع في فخ الرّوس، مكتبة ابن سينا، القاهرة- مصر، (د.ط)، 2013م.
7. حسين خمري، فضاء المتخيّل، مقاربات في الرّواية، منشورات الاختلاف، ط1، 2002م.

8. حميد لحميدانيّ، بنية النّصّ السّرديّ من منظور النّقد الأدبيّ، المركز الثّقافيّ العربيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 1991م.
9. سعيد يقطين, قضايا الرّواية العربيّة الجديدة – الوجود والحدود–، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون, بيروت–لبنان, (ط1), 2012م.
10. عادل فريجات، مرايا الرّواية، دراسات تطبيقيّة في الفّن الرّوائي، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 2000م، (د.ط).
11. عبد الله إبراهيم, السّرديّة العربيّة الحديثة, المركز الثّقافيّ العربيّ, بيروت– لبنان, ط1, 2003م.
12. عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السّرديّ معالجة تفكيكيّة سيميائيّة مركّبة، لرواية (رقاق المدقّ)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 1995م.
13. مبارك بن محمّد الهلاليّ الميليّ، تاريخ الجزائر(في القديم والحديث)، ج3، مكتبة النّهضة الجزائريّة، 37 شارع عمر القاما، 3 شارع العربيّ بن مهيديّ–الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
14. محمد قاضي, الرّواية والتّاريخ, دار المعرفة للنّشر, تونس, ط1, 2008م.
15. نور الدّين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر (من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثمانيّ)، دار الحضارة، الجزائر، (د.ط)، 2007م.

ب. المترجمة:

16. بيير شارتيه، مدخل إلى نظريّات الرّواية، تر: عبد الكبير شرقاويّ، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء– المغرب، (د.ط)، (د.ت).
17. روبرت إيغلستون، الرّواية المعاصرة مقدّمة قصيرة جدّا، تر: لطفية الدّليميّ، دار المدى، بغداد– العراق، ط01، 2017م.
18. ميخائيل باختين، الكلمة في الرّواية، تر: يوسف حلاّق، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق– سوريا، (د.ط)، 1988م.

رابعا: المعاجم

19. إبراهيم نيس، عبد الحليم منتصر، عطيّة صوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة–مصر، ط4، 2004م.
20. ابن منظور, لسان العرب, دار إحياء التّراث العربيّ, بيروت–لبنان, (د.ط)، 1988م.

خامسا: المجلات العلميّة

أ. الورقيّة:

21. زايدي كريم، الإمام الثّعالبيّ ومنهجه في تعامله مع القراءات في تفسيره "الجواهر الحسان" "– نماذج منتخبة–"، مجلة البحوث والدّراسات، المجلّد رقم15، العدد01، جانفي2018م، جامعة الشّهيد حمّة لخضر–الوادي، الجزائر.
22. محجوبيّ زهرة، المخطّطات العسكريّة الفرنسيّة لاحتلال الجزائر (1741م–1830م)، مجلّة الدّراسات التّاريخية العسكريّة، المجلّد رقم04، العدد رقم01، جانفي2020م، المركز الوطنيّ للدّراسات والبحث في التّاريخ العسكريّ للجزائر، الجزائر.

سادسا: الرّسائل الجامعيّة

23. شرحبيل إبراهيم، أحمد المحاسنة، بنية الشّخصيّة في أعمال مؤنس الرّزاز الرّوائيّة دراسة في ضوء المناهج الحديثة، أطروحة دكتوراه في اللّغة العربيّة، جامعة مؤتة، الأردن، (د.ط)، (د.ت).

سابعا: المواقع الإلكترونيّة.

24. جعفر لعزيز، البحث عن المجد في رواية الدّيوان الإسبرطيّ/ https://www.alquds.co.uk/.

25. محمّد الأمين بحريّ، الدّيوان الإسبرطيّ لعبد الوهّاب عيساويّ، الرّواية التّاريخيّة ثلاثيّة التّخييل بناءً وتخييلا وفكرا، الجزائر. ينظر: الكلمة مجلّة أدبيّة فكريّة شهريّة: http://www.alkalimah.net/Articles/Read/22104.

26. /الدّيوان الإسبرطيّ قراءة نقديّة https://kitabat.com/cultura.

27. اللّقب معنى وتاريخ الأسرة: https://eferrit.com/dupont-.

28. /سان سيمونيه/ https://www.marefa.org/.

29. الكشّاف

https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5ed62ce60975550fe2522c3e

30. /برتران كلوزيل https://areq.net/m.

31. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/126824.

32. مصطلح التّمرّد https://www.ra2ej.com/.

مـلـخّـص

ملخّص

انفتحت رواية "الدّيوان الإسبرطيّ" لعبد الوهّاب عيساويّ على دراسات عدّة، ونخصّ بالذّكر دراسة الشّخصيّات الخمس البطلة (ديبون، كافيار، ابن ميّار، حمّة السّلاّويّ، دوجة)، التي كانت محور الرّواية في فصولها الخمسة.

حيث جاءت هذه الدّراسة الموسومة بـ "صورة المتمرّد ودلالاتها في رواية الدّيوان الإسبرطيّ لعبد الوهّاب عيساويّ" للإحاطة بالمواصفات المختلفة للشّخصيّة المتمرّدة.

وحتّى نصل إلى صورة التّمرّد تتّبعنا الشّخصيّات ووقفنا على دلالات كلّ شخصيّة، من ذلك: (المتّمرّد الثّوريّ، المعارض، الكادح، الغاضب، المنتقم، والمتّمرّد المسالم، المحاور، الرافض)، وجاءت الشّخصيّات الخمس بين المتفق والمختلف، وكوّنت صورة للتّمرد.

فكان كافيار وحمّة السّلاويّ يمثّلان التّمرّد الحربيّ أو الكفاح المسلّح؛ من خلال الإيمان التّامّ بضرورة الثّورة والتّغيير، وأنّ ما أُخذ بالقوّة لا يستردّ إلاّ بالقوّة وذلك عن طريق حمل السّلاح والانضمام إلى صفوف الثّوّار أو المقاتلين كما فعل السّلاّويّ، أو عن طريق تحضير قوّة عسكريّة ضخمة استعدادًا لإراقة الكثير من الدّماء على الجبهة الثّانية كما فعل كافيار.

أمّا ديبون و ابن ميّار فكانا يمثّلان صورة التّمرّد السّلميّ أو الكفاح السّياسيّ؛ الّذي يقوم على الإيمان التّامّ بضرورة التّغيير بطرق سلميّة سياسيّة بحتة؛ عن طريق الحوار السّلميّ وتقديم العرائض أو الشّكاوى التي تلخّص مطالب الشّعب دون اللّجوء إلى حمل السّلاح.

رغم الاختلاف الشّديد للشّخصيّات إلّا أنّه ثمّت اتّفاق واحد؛ هو دوجة الّتي كانت تمثّل صورة الجزائر في كلّ أحوالها، إذ كانت كلّ شخصيّة ترغب في تملّكها، لكن كلّ حسب طريقته.

Summary

The novel "The Spartan Court" by Abd al-Wahhab al-Issawi was opened to several studies, and we single out

It is worth mentioning the study of the five heroic characters (Dibon, Caviar, Ibn Mayar, Hama Al-Salawi, Doja,(

Which was the focus of the novel in its five chapters.

Where this study came tagged with the image of the rebel and its connotations in the novel Al-Diwan

The Spartan by Abdel Wahab Issawi" to capture the different specifications of the arrogant personality.

In order to reach the image of the rebellion, we saturated the characters and stood on the connotations of each character, from

That is: (the revolutionary rebel, the opposition, the industrious, the angry, the avenger, the peaceful rebel, the interlocutor,

The rejectionist), and the five personalities came between those who agreed and disagreed, and formed a picture of the thirred.

Caviar and Hamma al-Shalawi represented war rebellion or armed struggle; through

The supreme belief in the necessity of revolution and change, and that what was taken by force can only be recovered by force, and that is through

Take up arms and join the ranks of the revolutionaries or fighters, as Al-Salawi did, or by

Prepare a huge military force in preparation for spilling a lot of blood on the second front as he did

A

Caviar.

As for Dibon and Ibn Mayar, they represented the image of peaceful rebellion or political struggle; that

It is based on the fundamental belief in the necessity of change by peaceful and purely political means; through dialogue

Peacefully and submitting petitions or complaints that summarize the people's demands without resorting to pregnancy

weapon.

Despite the very different personalities, there is one agreement; He is a doge that was representing

The image of Algeria in all its circumstances, as every character wanted to own it, but each according to her

his way.

فهرس المحتويات

فـهـرس الـمـحـتـويـات

العنوان	الصّفحة
البسملة	
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدّمة	أ - د
مدخل مفاهيميّ	
المبحث الأوّل: مفهوم الرّواية المعاصرة	15
المطلب الأوّل: الرّواية التّاريخيّة	18
المطلب الثّاني: نماذج من روايات تاريخيّة	19
المطلب الثّالث: نظرة عن الرّواية الجزائريّة المعاصرة	20
المبحث الثّاني: مفهوم الشّخصيّة الرّوائيّة	22
المطلب الأوّل: تعريف الشّخصيّة	22
الفرع الأوّل: لغـــــة	22
الفرع الثّاني: اصطلاحا	23
المطلب الثّاني: أنواع الشّخصيّة	24
الفرع الأوّل: الشّخصيّات الرّئيسيّة	24
الفرع الثّاني: الشّخصيّات الثّانويّة	25
المطلب الثّالث: أهمّيّة الشّخصيّة ودورها في العمل الرّوائيّ	26
المطلب الرّابع: مفهوم الشّخصيّة المتمرّدة	26
الفرع الأوّل: التّمرّد لغة	27
الفرع الثّاني: التّمرّد اصطلاحا	27
الفصل الأوّل: صورة التّمرّد في شخصيّتي ديبون وابن ميّار	
مفتتح	30
المبحث الأوّل: شخصيّة ديبون	31
المبحث الثّاني: شخصيّة ابن ميّار	41
مختتم	52
الفصل الثاني: صورة التّمرّد في شخصيّتي كافيار وحمّة السّلاويّ	
مفتتح	55
المبحث الأوّل: شخصيّة كافيار	56
المبحث الثّاني: شخصيّة حمّة السّلاويّ	67
مختتم	82
خاتمة	85
قائمة المصادر	87
ملخّص البحث	92